



انتحار حمار

مجموعة قصصية

حسن مفتي

العبيكان
Obeikan

انتحار حمار

(مجموعة قصصية)

حسن مفتي



انتحار حمار

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر العبيكان Obeikan

بالتعاقد مع

شركة العبيكان Obeikan للأبحاث والتطوير

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

امتياز التوزيع

شركة مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥



المحتويات

مقدمة

خشيت أن يولد هذا العمل خديجاً أو معوقاً أو حتى ميتاً لا سمح الله، ولشدة خشيتي عليه من التشوهات الخلقية قدمت له ما استطعت من الرعاية والعناية حتى استغلظ واستوى على سوقه، وأرجو أن يعجب القراء.

عنونت لهذه الباكورة القصصية الأولى بانتحار حمار!

أما لماذا انتحر هذا الحمار وكيف انتحر، وما هي دوافعه النفسية للانتحار!!؟ فهذا ما سأتركه لفضول القارئ الذي نصبته حكماً على عقلي، حيث نسب بعضهم إلى الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد هذه المقولة: من صنّف سفراً ما، فكأنما عرض عقله على الناس.

كان لا بد لصورة الغلاف أن تطابق مضمون العنوان، فسبرت أغوار الكتب والمجلات، وولجت إلى أعماق دهاليز الشبكة لأبحث عن صورةٍ تقارب أو تطابق النية السيئة للانتحار فلم أوفق، اقترح عليّ زيد من الناس أن أستعين بحمارٍ حقيقيٍ لتصوير مشهدٍ مقاربٍ للانتحار، لكنني خشيت عاقبة فعلي، وخشيت أن يركب

الحمار موجة الانتحار فيتردى على أم رأسه، وأتعرض أنا للمساءلة القانونية من قبل جمعيات الرفق بالحيوان، وما أكثرها!

وبعد أن بذلت جهدي الشخصي في البحث المضني، واستعنت ببعض الزملاء في البحث والتدقيق في وجوه الحمير، عثر أحدهم مشكوراً على الصورة المنشودة، دون أن أتحمل أنا أو هو التبعات القانونية لمصير بطلها، الواقف على شفا جرفٍ هارٍ.

فكانت الصورة، وكان الكتاب، وبقي القارئ حكماً متجرداً على هذا العمل المتواضع...

أرجو أن ينال رضاه.



انتحار

اغتيال ناشر ارتزاقي بطلقتين في رأسه

حمار

الناشر: أريد مدخلاً قوياً للقصة، مدخلاً يلفت انتباه القارئ ويشده إلى مجريات الأحداث المتلاحقة في الرواية، أريده مدخلاً أدبياً رائعاً يعبر بجلاءٍ عن وقائع مثيرةٍ تعلق بذاكرة القارئ والمشاهد على السواء... وإلى الأبد، أريدها قصةً تهز الوجدان الإنساني بكل حرفٍ سطرت به، وبكل كلمةٍ اختطتها يداك على صفحات هذه الرواية.

الكاتب: لدي مسارات عدة لهذه القصة من أبرزها هذا السيناريو الذي وضعته على عجلٍ لأتلوه على مسامعك، أخرج الكاتب من ملزمته السوداء بضعة أوراقٍ صقيلةٍ ذات لونٍ أصفر، وبدأ يقرأ من إحداها (كان هناك رجل أبيض البشرة مشوباً بحمرة، توفي هذا الرجل فجأةً بسبب نوبةٍ قلبيةٍ، الرجل طبعاً فقير للغاية لا يملك شراء نقيرٍ من ملذات هذه الحياة، لِنقُلْ: إن هذا الرجل خلّف صبياً وأطلق عليه اسم عبد الصبور، تربى الصبي في حجر عمه الذي سامه سوء العذاب، وسقاه كؤوس الذل، وحتى تكتمل فصول هذه المأساة الإنسانية فرّ عبد الصبور من منزل العم ونام في الشوارع وتحت السلالم، لفت تشرده المؤلم نظر المعلم سالم الذي رق لحاله وألحقه بورشته الخاصة بالحدادة، هناك تعلم أصول الصنعة حتى أتقنها وبز فيها أقرانه.

توفي المعلم سالم وخلف الورشة لعبد الصبور، وما هي إلا بضعة أعوامٍ حتى انتشرت فروع هذه الورشة في أنحاء البلاد،

وأصـبـح اسم المعلم عـبـد الصـبـور على كل لسـانٍ، كـوّن المعلم عبدالصبور ثروةً طائلةً من خلال صبره وأمانته وسمعته ومهارته في العمل، استثمرها في إنشاء البنايات السكنية والشقق المفروشة، تزوج عبد الصبور من فتاةٍ جميلةٍ وأنجب منها ابناً وحيداً.

الناشر: لنجعل الابن مدللاً ومنحرفاً عن السلوك السوي، يعني: يتعرف على شلةٍ فاسدةٍ ويقع في براثن المخدرات، ويبدد ثروة والده في مختلف أنواع الملذات الدنيوية.

الكاتب: حسناً لِنَقُلْ: إن الشاب المدلل كان فاسداً، واستثمر أموال والده في استيراد لحوم الكلاب المعلبة على أنها لحوم مذبوحة وفق الشريعة الإسلامية، وأنها صالحة للاستهلاك الآدمي، وكون من خلال هذه الصفقات الفاسدة ثروةً طائلةً تفوق ثروة والده.

الناشر: جميل جداً، اتخذت القصة منحىً خطيراً.

الكاتب ساخراً: هذه القصة تصلح سيناريو لما يعرف في الأوساط السينمائية بأفلام المقاولات، وحتى تكتمل أبعاد هذه القصة المجنونة استدعِ الممثلة الشمطاء نادية لتمثيلها مع مغني الحواري القدير تامر، ومدمن المخدرات السابق رمزي، هذه ليست قصة وجدانية، هذه فوضى هزلية.

الناشر: حسناً لِنَرَ السيناريو الذي يليه.

الكاتب: كان هناك رجل أبيض البشرة مشوباً بحمرة، توفي هذا الرجل فجأةً بدون سببٍ، هكذا بأمرٍ من الله تعالى، لنجعل الموت هو المدخل المأساوي للقصة قبل أن نصنع الشخصيات، كان هذا الرجل فقيراً للغاية.

الناشر: لنجعل أقارب هذا الرجل من الطبقة الغنية في المجتمع هكذا أفضل، بمعنى أن له شقيقاً ناجحاً في أعماله، وله قريب يرأس البرلمان، أصبح هذا الرجل ناجحاً في مجال عمله، اقتنى قطيعاً من الكلاب في قصره، لنجعلها كلاباً فرنسية صغيرة الحجم حتى نضفي لمسةً أرستقراطية على طبيعة حياته، كان لهذا الرجل ابنة جميلة، لنحوّلْ هذه القصة إلى قصةٍ رومانسيةٍ عاصفةٍ تفوق في جمالها أحداث قصة وليام شكسبير روميو وجوليت.

الكاتب: عفواً، لا تنسَ أن هذا السيناريو من تأليفي الشخصي، أنا أريد قصةً حقيقيةً يعيش القارئ فصول حياتها بوجدانه، وأنت تريد قصةً مكسيكيةً تصلح للتمثيل في قنوات الفضاء المارونية، لا يمكنني أن ألطخ اسمي بهذه القصة، ما رأيك في هذا السيناريو الذي يحمل أبعاداً مختلفةً.

الناشر متبرماً: أسرع، فلديّ اجتماع مهم للغاية مع مخرجٍ سينمائي.

الكاتب: كان هناك رجل أبيض البشرة مشوباً بحمرة، توفي هذا الرجل فجأةً بسبب مرض الكبد الوبائي الذي لم يمهله طويلاً،

وكان لهذا الرجل والدة عجوز فقدت شقيقتها في الحرب الأهلية التي نشبت بين الشمال الغني والجنوب الفقير.

الناشر: الحرب في هذه القصة تشبه الحرب التي ورد ذكرها في الرواية المعروفة (يذهب مع الريح) ما رأيك في هذا المسار، تكتشف الأم المفجوعة بابنها أن شقيقتها لا تزال على قيد الحياة، وهي التي كانت تظن خلاف ذلك، فتضع نصب عينيها هدفاً واضحاً ومحدداً، رؤيتها قبل أن تموت، ترحل الأم إلى الشمال بحثاً عن شقيقتها المفقودة، لنجعل انتماء الأم إلى الجنوب الفقير، وترحل الشقيقة إلى الجنوب بسبب الأعمال المختلفة التي تزاولها للحفاظ على بقايا كرامتها، وفي إحدى المحطات المهجورة يلتقيان دون أن يتعرفا إلى بعضهما، تأنس كل واحدةٍ إلى صاحبتها، وتشعران بالتقارب الغريب بينهما، ثم تحدث المفاجأة حيث تفقد الشقيقة القادمة من الشمال طفلتها الوحيدة فيشرعان في البحث عنها سوياً، وبقية القصة معروفة.

الكاتب: هذا فيلم هندي شاهدته أكثر من مئة ألف مرةٍ، وفي كل مرةٍ تتغير أحداث الفيلم مع بقاء أصل الفكرة، فمرةً يفقد الأب ابنه، أو الابن أباه، أو الفتاة أمها، أو الأم ابنتها وهكذا بقية أفراد الأسرة، وفي نهاية الفيلم لا بد من اللقاء والدموع والغناء والرقص تحت ظلال الأشجار الوافرة مع القرود والحشرات، حتى أنهم رووا هذه القصة الهندية الغريبة (تزوج رجل بامرأةٍ جميلةٍ للغاية،

ما لبث هذا الزواج السعيد أن أسفر عن حملٍ سريعٍ فنحن في عصر السرعة بطبيعة الحال، وفي المستشفى وساعة وضع الزوجة لمولودها اكتشف هذا الأب أن الغلام الذي أنجبته الزوجة للتو في غرفة العمليات هو ابنه الذي فقده منذ عشرين عاماً، تصور ذلك!! هذه قصة هندية كلاسيكية لا ينقصها إلا الممثل القدير أميتاب باتشان وعددٍ من الهنود لأجل الرقص والغناء وتبادل اللكمات فوق أكياس الشعير، دون أن ننسى وجود البقرة المقدسة والفيل الصديق الذي ينتقم لموت البطلة، أتمنى منك أن تسمعني هذه المرة ولا تقاطعني إلا في نهاية القصة رجاءً.

الناشر: لك ذلك، تفضل أخرج لنا ما لديك.

الكاتب: كان هناك رجل أبيض البشرة مشوباً بحمرة، توفي هذا الرجل فجأةً، توفي مقتولاً، كان يخرج في الصباح الباكر بحثاً عن أي عملٍ يصون به ماء وجهه، كان يقف في محطةٍ للحافلات مع إخوانه من العمال عندما أصيب بطلقٍ ناريٍ مجهول المصدر، زوجته مريضة للغاية، وله شقيق معاق بفعل طلقة قناصٍ، ابن شقيقته أمجد وهو محور القصة محكوم عليه بالسجن المؤبد في إحدى الدول العربية، لأنه حاول إدخال السلاح مع إحدى الخلايا الثورية لإخوانه في الأراضي المحتلة.

شقيقته مطلقة، وزوجها رحل إلى الخارج لطلب المعيشة، أصيب ابنه أحمد بشلل الأطفال لعدم توفر اللقاح، والدته عجوز

طاعنة في السن، والده متوفى، كان هذا الرجل -واسمه عبدالمعين- يعاني من الديون المتراكمة التي أثقلت كاهله، الخباز يريد ثمن خبزه الذي لم يدفع منذ أشهرٍ، واللحام يهدد برفع شكواه إلى مركزٍ للشرطة، نسيت أن أخبركم: قطع التيار الكهربائي عن منزلهم منذ عامين لعجزه التام عن السداد، ابنته البكر تبيع الحلويات والبالونات عند إشارةٍ ضوئيةٍ، وأثناء بيعها لتلك الحاجيات تتعرض للهمزات والغمزات من قبل لصوص الأعراض وقطاع الأخلاق، وما أكثرهم! ثوبها القديم المرقع يكشف عن جسدها أكثر مما يستر، وعند الغروب تعود تلك الفتاة ببعض القطع النقدية التي لا تكفي لشراء قطعة خبزٍ واحدةٍ.

الناشر مقاطعاً ومحتجاً: يا أخي هذه قصة مأساوية للغاية، وهي تتكرر في فلسطين منذ خمسة عقودٍ، وفي العراق هذه الأيام، وفي أفغانستان والشيشان، أريد قصةً عن الأمل، عن الحياة، عن السعادة، الجمهور لا يريد هذه المأساويات، الجمهور يريد أن ينسى همه الذي يعانيه في الصباح والمساء من العمل والمواصلات وغلاء الأسعار، الجمهور (مش عايز جنازة يشبع فيها لطم، الجمهور عايز قصة يرقص على أنغامها ويتفاعل مع أحداثها) نريد قصةً لنجاح فنانةٍ في مسابقة سوبر ستار، وكيف كانت تغني في صغرها داخل الحمام بصوتها العذب الجميل، كيف شاركت في المخيمات الكشفية التي كانت تقيمها الدولة في المدينة المجاورة، وكيف

اكتشفها المخرج صدفةً عندما رآها تدندن بأغنيةٍ لفيروز (حبيتك في الصيف، حبيتك في الشتي، نطرتك في الصيف، نطرتك في جهنم الحمراء) كيف افتتن المخرج بذلك الصوت عندما تشكل في مخيلته منظر قدميها البيضاوين البضتين، وهما تلامسان صفحة الرافد النهري الجميل بنعومةٍ فائقةٍ تحت أشجار السرو والصنوبر، أعطنا قصة نجاح فنانةٍ، أو قصة كلاسيكية لوصول عارضة الأزياء جورجينا إلى القمة في مسابقة جمال الكون.

الكاتب: حسناً، إليك هذه القصة الأخيرة والتي ستعجبك بالتأكيد.

الناشر: تفضل، فقد أزف موعدي مع المخرج السينمائي.

الكاتب: كان هناك رجل أبيض البشرة مشوباً بحمرة، أعدم هذا الرجل في يومٍ من الأيام، الناشر مقاطعاً: جميل جداً، الإعدام يدل على أن هذه الرجل صاحب قضيةٍ ومبدأ أعدم لأجلهما، الكاتب يكمل القصة ويشير إلى الناشر بعدم المقاطعة: أعدم هذا الرجل؛ لأنه أطلق النار من مسدسه على رأس أحد الناشرين بسبب خلافٍ في الرأي بينهما.

الناشر مقاطعاً: الحبكة قوية للغاية وهي رائعة جداً، أنا على استعدادٍ لنشرها بل وتمثيلها أو تمويل من يخرجها إلى الوجود، الكاتب يخرج مسدساً صغيراً من جيبه ويصوبه إلى رأس الناشر، ذعر الناشر وصرخ قائلاً: ماذا تفعل أيها المجنون؟؟

الكاتب: إنني أسطر قصتي الحقيقية بمدادٍ من الدم أيها الوغد.

الناشر: أنا أريد تراجيديا خيالية، وأنت تصنع لي هذه الدراما الحقيقية؟ هل جننت؟ (يخرب بيتك وبيت بيتك، تأبرني شو هالحكي)، طلقتان في الرأس تمزقان سكون الغرفة وتخرسان لسان الناشر... وإلى الأبد، صرخات تتعالى من الغرفة المجاورة وجسد يهوي على الأرض، أخرج الكاتب قلمه وشرع يسطر هذه القصة:

كان هناك رجل أبيض البشرة مشوباً بحمرةٍ، تم إعدامه أو حكم عليه بالسجن المؤبد، لست أدري! ربما لأن وقائع هذه القضية ستكتبها المحكمة أو مرافعة الادعاء العام، أو ستحررها يد القاضي، قتل الناشر المشهور على يد الكاتب الكاتب المغمور؛ لأنه أراد أن يمسخ هوية الأمة، وكان الكاتب القاتل رجلاً طيباً للغاية، رجلاً يحمل في صدره قلباً حنوناً مشفقاً، أصيب الكاتب بلوثةٍ مفاجئة في عقله، وكان السبب الرئيس في هذه اللوثة نشرات الأخبار الرئيسة، كانت نشرات الأخبار الرئيسة تحمل في طياتها وقائع عجيبة للغاية، لا تستسيغها الفطرة، ولا تقبلها العقول! قتل طفل مسلم، ذبحت طفلة مسلمة، اغتصبت امرأة مسلمة، انتهكت كرامة إنسانٍ مسلمٍ، بيعت كرامة أمةٍ مسلمةٍ، احتلت دولة عربية مسلمة، دِيسَ على المصحف الذي هو دستور الأمة المسلمة، خانت

دولة عربية مسلمة شقيقتها الدولة العربية المسلمة الأخرى لصالح القوى الغربية.

لم تحرك هذه الأخبار ذرةً واحدةً في قلب الأمة المسلمة، بل حركت أجساد نسائها عبر حفلات الرقص والعري، وعلى الهواء مباشرةً بأموالٍ إسلامية، وعلى قنواتٍ فضائيةٍ يمتلكها أناس يحملون أسماءً إسلاميةً عربيةً، كان المتنفذون في الأمة يسعون لتضميد جراح أمتهم بالرقص، وتسكين ألمها بالعري، ورفعة شأنها بالدعارة الجسدية والفكرية، وللقصة بقية وإن طالت ......

انتحار

العقل الفارغ

حمار

المذيع: سيداتي آنساتي، سادتي........ مساء الخير، يسعدني ويشرفني أن أقدم لكم برنامجكم المفضل (أحلى الليالي) والذي نستضيف فيه الفنان البارع اللامع........ السيد (مكسور الخاطر) المعروف بـ (أسير العذاب).

المذيع: أستاذ مكسور الخاطر، نقول: حياك الله!

مكسور الخاطر مطأطئاً رأسه في الأرض، وقد رسم على شفتيه ملامح حزنٍ عبثيٍ حائرٍ لا معنى له: حياكم الله... صوت مبحوح للغاية ونظرات كسيرة زائغة الهدف.... تهدرج صوته وخنقته العبرة وأوشك على البكاء محاولاً استعطاف الجمهور واستدرار دموع ربات الخدور.

المذيع: أستاذي الفاضل تسمح لنا وللسادة المشاهدين بالبيانات الشخصية؟؟

مكسور الخاطر لا يزال مطأطئاً رأسه: اسمي مكسور الخاطر، من مواليد ١٩٨٠ في عاصمة الكونغو الديموقراطية!

المذيع مقاطعاً: عفوا أستاذي (بس أنت لونك أبيض؟)

مكسور الخاطر: أمهلني شيئاً من الوقت لأشرح لك.

المذيع: عفواً عفواً تفضل.

مكسور الخاطر: أنا مولود في عاصمة الكونغو، والسبب أن الوالد كان في رحلة صيدٍ وقنصٍ مع أحد هواة مغامرات السفاري،

الوالدة -طبعاً- رافقت الوالد في تلك الرحلة التاريخية، نشأتُ ودرستُ المرحلة الابتدائية في المملكة، لم أكمل تعليمي المتوسط بسبب ظروفٍ قاهرةٍ لا أستطيع ذكرها للسادة المشاهدين! هذه هي بطاقتي الشخصية باختصارٍ شديدٍ!

المذيع: ميولك الفنية متى برزت إلى الوجود؟؟

مكسور الخاطر: والله يا أخي الكريم ميولي الفنية بارزة منذ الصغر، وإذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يضحك!

المذيع مصححاً: لعلك تقصد يبتسم!؟

مكسور: يبتسم، يضحك، يقهقه، كله محصل بعضه، كنت أغني في المناسبات الوطنية والحفلات المدرسية أو إذا فاز فريق الحارة، غنيت في البر، وفي البحر، غنيت عند وادي الحاير، غنيت في المناسبات الحزينة، غنيت في الحمام، غنيت في المقبرة، في الشارع، في كل مكانٍ، في الطائرة، باختصارٍ شديدٍ غنيت في كل مكانٍ، وعندي استعداد لأن أغني وأغني وأغني. الزملاء وإخواني قالوا لي: إنك تمتلك مقومات الصوت الناعم الجميل، ومن هنا كانت البداية.

المذيع: أستاذ مكسور، من هم أساتذتك في مجال الغناء والتغريد والألحان الذين تأثرت بهم؟؟

مكسور الخاطر: والله يا سيدي الفاضل أنا تأثرت بالأستاذ (عادل بليلة) الملحن المعروف (والدكتور فؤاد بطاطا) صاحب المقامات الأندلسية، والمغنية الموقرة السيدة الفاضلة (عنايات) صاحبة أغنية الفراغ الضوئي، كما تأثرت بالفنان العظيم طه حسين صاحب أغنية (الأرض بتكلم عربي)!

المذيع مقاطعاً: قصدك الفنان (سيد مكاوي - الله يرحمه).

مكسور الخاطر يسأل: (مو طه حسين هو صاحب الغنية هذه؟؟).

المذيع: (مالك لوا)، صاحب الأغنية (سيد مكاوي) وهو في الحقيقة يشبه طه حسين إلى حدٍ كبير.

مكسور الخاطر: (آيوه).

المذيع: أستاذ مكسور، مسيرتك الفنية تتراوح بين العود والقانون والكمنجة والكمان، أي هذه الأدوات التي تميل إليها أكثر؟؟

مكسور: والله يا أخي الكريم أنا أميل لدراسة (القانون) في كلية الحقوق إن شاء الله في جامعة عين شمس بالقاهرة، (بس أنا مستني لما أتربع على سماء الأغنية العربية الآخذة في النضج والطبيخ!).

المذيع محرج ويقاطع: أستاذ مكسور عفواً عفواً أنا أسأل عن آلة القانون وليس عن دراسة مادة القانون، أنت اليوم (منت معانا أبداً) خير إن شاء الله؟؟

مكسور يطأطئ رأسه ويخرج صوته مبحوحاً: والله أنا أمرّ بحالة حزن عاطفيٍّ شديدٍ للغاية، والسبب أن صديقة لي، تعرفت عليها عن طريق الشات، وتبادلت معها الرسائل والخواطر لأيامٍ وأشهر وكان قصدي شريف، قصدي أن أتزوجها على سنّة الله ورسوله، وأرسلت لي صورتها وأرسلت لها صورتي، وصورتها مثل القمر ليلة البدر على خدها الأيسر شامة.

المذيع منصتاً بخشوع: ثم ماذا؟؟

مكسور وقد ازداد صوته بحةً مزعجة: أبداً، ابن خالتي رأى الصورة وقال لي هذه ممثلة أمريكية ميتة منذ الستينيات واسمها (مارلين مونرو) (وطلعت البنت اللي كانت تتكلم معاي طلعت وش أقول بس؟؟............ حسبي الله).

المذيع: (طلعت ماذا؟؟).

مكسور: لم تكن من ذوات الجنس الناعم، بل تمساحاً خشناً، رجل يجيد تمثيل أدوار النساء ليَضحَك ويُضحِك الآخرين على ذقون الرجال.

المذيع: (هاهاهاهاها..... غلطة الشاطر بألف؟).

مكسور: بألف وخمسمائة ريالٍ - يرعاك الله!

المذيع: ألف وخمسمائة ريال لأجل ماذا!؟؟

مكسور: قيمة الألبوم الجديد الذي أصدرته!

المذيع يحدث نفسه: مصيبة.. ما الذي جاء بهذه الباقعة إلى الأستوديو؟ ما هذا الغباء الفريد؟ ثم يتمالك نفسه بسرعةٍ ملطفاً أجواء الأستوديو الملبدة بركام الجهل والغباء: بالنسبة لألبومك الذي أصدرته بألفٍ وخمسمائة ريال، من هو الشاعر الذي كتب قصائده؟؟؟

مكسور: الفنان حسب الله النجعاوي.

المذيع: عفواً أستاذي.... (هذا مو وزير الإسكان في إحدى الوزارات الغابرة!؟).

مكسور: طبعاً، لكنه عندما تقاعد من الوزارة أصبح يكتب الأغاني باللهجة المصرية واللهجة الخليجية؟؟

المذيع: ما هي الأغاني التي يحتويها هذا الشريط؟؟

مكسور: هي أغنية واحدة - طال عمرك.... أسمعك إياها؟؟

المذيع: بكل سرور.

مكسور: أنا صارت لي مشكلة مع سرور هذا؟؟

المذيع: عفوا؟؟

مكسور: سرور هذا الذي ذكرت اسمه قبل قليل، وقعت لي معه مشكلة!

المذيع: ممكن توضح؟؟

مكسور: أقصد الأستاذ فتحي سرور رئيس مجلس الشعب السابق، وقعت لي مشكلة معه!

المذيع: يزم شفتيه في عصبيةٍ ويحدّث نفسه بغيظٍ شديد..... إنا لله وإنا إليه راجعون... هل حلت علينا لعنة الفراعنة في هذه الحلقة؟؟ تفضل نسمع الأغنية لو سمحت؟؟؟.

مكسور: الأغنية عنوانها (يوم ونت عيون المعشوقة).

المذيع: الأغنية هذه قالها المهندس وزير الإسكان السابق حسب الله الكفراوي!!؟

مكسور: أكيد وهو صاحب (أغنية يا نار شبّي من ضلوعي حطبك).

المذيع: يشتم هذا المكسور في سره بعد أن ارتفع الضغط معه لمليون، ويقول في سره: الأغنية الأولى قلنا (معليش) أما (يا نار

شبي) هذه قصيدة نبطية تتبع الشاعر خلف بن هذال، الله يأخذك يا مكسور الكذب والنصب... نسمع الأغنية لو سمحت؟؟

مكسور تقول كلمات الأغنية:

يوم ونت عيون المعشوقة...... قلت لنفسي هاذي دنياي مسروقة

والسارق يتمشى في ديار منفوحة..... في جيبه الأيمن قارورة مكسورة

يوم ونت عيون المعشوقة........ يوم ونت عيون المعشوقة...... يوم ونت عيون المعشوقة

مكسور: وسلامتكم

المذيع يتميز من الغيظ: لا سلمك الله.. يحدث نفسه، ثم سأل: هذه هي الأغنية!؟

مكسور: نعم، أستاذي، بجميع أبعادها المختلفة!

المذيع: أبعادها المختلفة!؟

مكسور: نعم، بجميع أبعادها المختلفة!

المذيع: ليس لها إلا بعدٌ واحدٌ فقط، المهم من الذي سيقوم بتلحينها لك؟

مكسور: السيدة عنايات.

المذيع: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. ما هذه

الكارثة التي حلت علينا من أعماق الحواري المظلمة؟... (طيب عندنا مكالمة).

المذيع: (ألو).

صوت امرأة غنوج: (ألوووووووووو).

المذيع يعدل شماغه: نعم، أختي، نتعرف عليك؟؟؟

المرأة: (معاك خسارة) من مدينة (رأس أبو قميص وسروال)

المذيع: حياك الله أختي خسارة..... عندك سؤال؟؟؟

خسارة: الفنان مكسور.

مكسور يطأطئ رأسه ويصل بذقنه إلى سرته، زيادةً في الحياء والأدب: نعم أختي....... صوت يشبه فحيح الأفعى، وهو إلى الهمس أقرب.

خسارة: أحببت أن أقول لك: إني معجبة بأغنيتك التي غنيتها بمناسبة أسبوع المرور والتي قلت فيها:

يا ماخذ الجرعة (جرعة مخدر يعني) حافظ على السرعة.

مكسور يطأطئ رأسه: مشكور أختي خسارة.

خسارة: ألف شكر، فنان جيل الكساد.

المذيع: أي سؤال أختي خسارة؟؟؟

خسارة: نعم، أنا سمعت أن هناك تعاوناً بين الفنان مكسور الخاطر، والفنان وديع الصافي من لبنان؟؟

مكسور: والله أنا ما بيني وبينه أي تعاون، هو الذي طلب مني أن أتعاون معه، وأنا رفضت!

المذيع: أي سؤال أختي خسارة؟؟؟ أخت خسارة؟؟ يا أختي خسارة؟؟ الظاهر أن الخط انقطع......

٩٠٥: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حمد مبارك معك من استعلامات دليل الرياض.

المذيع: عفواً يا أخي الظاهر أنّ الخطوط شبكت.

٩٠٥: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حمد مبارك معك من استعلامات دليل الرياض أي خدمة؟؟؟؟

المذيع: معذرةً أخي حمد، (الخط شبك وحنا على الهواء الآن من برنامج أحلى الليالي):

حمد مبارك: يا أخي، عيب، تتصلون علينا وتزعجوننا وتقول إنك من برنامج أحلى الليالي، ما هذا الكلام؟ عيب يا أخي عيب...... (خلو عندكم شوية دم!).

المذيع محرج للغاية: عفواً سيداتي آنساتي سادتي، على هذا الخلل الفني غير المقصود، وقفة مع الإعلانات لحين إصلاح المشكلة.

المذيع: عودة إلى استديو أحلى الليالي مع الفنان البارع مكسور الخاطر (أسير العذاب).

المذيع: معنا اتصال...... (ألو؟).

المتصل: (ألو) السلام عليكم ورحمة الله.

المذيع: وعليكم السلام، (نتعرف عليك أخوي؟؟).

المتصل: معك أحد المواطنين.

المذيع: الاسم لو سمحت.

المتصل: دعك من الاسم، أنا عندي سؤال لك وللأخوة المسؤولين عن البرنامج.

المذيع: (ياريت تعطينا الاسم لو سمحت؟).

المتصل: يتجاهل المذيع، اسمح لي أخي الكريم، البرنامج سخيف جداً (ماله أي داعي)، وكان الأجدر بكم أن تقوموا باستضافة أحد علماء الاجتماع أو الهندسة أو الطب أو الاقتصاد، بدلاً من ضيفك هذا، الذي لم يقدم للأمة شيئاً، غير إشغالها بالكلمات الهابطة البعيدة عن الذوق والحياء العام.

المذيع: هل لك أن تخبرني عن السبب الحقيقي لهذا الهجوم السافر على البرنامج وعلى الإخوة المسؤولين؟؟

المتصل: اكتشاف السبب لا يحتاج إلى مزيد تخمينٍ، الشعب الفلسطيني يذبح ويقتل، والعراق محتل، والعالم يغلي، وأنت تقوم باستضافة هذا المخلوق الغريب في الأستوديو؟ القنوات الفضائية العربية والعالمية تنقل لنا الأحداث الدامية لإخواننا في الأراضي المحتلة يومياً، وأنتم تمدوننا بمزيد مخدراتٍ من رقصٍ وقلة أدبٍ مع عضو الحلقة المفقودة هذا؟؟

المذيع: أخي عفواً، لقد أشبعنا القضية الفلسطينية بحثاً وقتلاً؟ خمسون سنةً ونحن لا نصحو ولا ننام إلا على الشأن الفلسطيني! وليس من العقل والحكمة والذوق أن نعيش أبد الدهر على المآسي والأحزان، ثم يا أخي الكريم، إذا لم تعجبك القناة فغيرها إلى غيرها وبضغطة زرٍّ واحدةٍ فقط، الفضاء يعج بعشرات القنوات الفضائية المتخصصة في السياسية والدين والرياضة والدراما، خلنا نستمتع بالفن الأصيل والطرب اللذيذ، مع مطرب الأجيال، جابر عثرات.... أقصد جابر كسر القلوب، السيد المطرب مكسور الخاطر!!

انتحار

اللقاء الأول لمدرسة الحب الفاشلة

حمار

رئيس المجلس: نبدأ اجتماعنا الأول لرابطة العشاق والمحبين بلقاءٍ تعريفيٍّ بين أعضاء الرابطة، ختم عبارته هذه بإشارةٍ من يده إلى العضو الأول، تفضل، حدثنا عن نفسك.

العضو الأول بصوته الدافئ الحزين: أنا عاشق وغارق في أعماق الحب، عشقت امرأةً كانت تختلف إلى حراج ابن قاسم بشكلٍ شبه يومي، وكانت تلك المعشوقة تتأبط شيئاً من أدوات المطبخ المستعملة لتستعين بها على شظف الحياة وقرف الواقع، أعجبني جهادها وقتالها، والحياة -يا أستاذي- عقيدة وجهاد، فغرقت في لجج مواعينها وملاعقها، قصدي في لجج حبها الثائر الهادر...... الغادر، والصراحة يا دولة الرئيس أصابني سهمها الطائش ففتّتَ البقية الباقية من جسدي، فأصبحت أردد قول المتنبي:

وما صبابة مشتاقٍ على أمل

من اللقاء كمشتاقٍ بلا أمل

رئيس المجلس: طيب، ما هي خياراتك المستقبلية، طموحاتك، خططك، بالعربي الفصيح ماهو مصير هذا العشق؟

عاشق الحراج: والله -يا دولة الرئيس- الحياة صعبة، والجوع كافر، والحب لا يسد جوعةً ولا يستر عورة خاصةً هذه الأيام التي تشهد ارتفاعاً فاحشاً في الأسعار، وأنا طموحي فتاة

جامعية وموظفة تنفق عليّ من حُرّ مالها، وأغدق عليها رحيق الحب!

رئيس المجلس: أنت عالة على الحب يا أستاذ، والاستنساخ يغني الأنثى عن الرجل وأشباه الرجال أمثالك، ثم تعال هنا، ما هي مؤهلاتك؟

عاشق الحراج: لم أكمل المرحلة الابتدائية!!

رئيس المجلس: وطموحك فتاة جامعية!؟؟

عاشق الحراج: نعم، وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام، ولن تبلغ المجد حتى تلعق الحائط، قصدي: تلعق الصبرا.

رئيس المجلس: وبائعة الصحون والملاعق؟

عاشق الحراج: (لا أبوها لا أبو أبوها، والتبن ما باقي إلا هي، أنا رجل، والحمد لله، لم يخلقني ربي امرأة!!).

رئيس المجلس: أنت ولد قليل الأدب (ومش متربي)، أنت عار على العشاق، أنت جريمة في حق الحب، أنت وغد رخيص، طماع انتهازي، أنت... (ما أدري وش أقول)، أنت مطرود ولا كرامة، اخرج من مجلس الحب المهيب، والى الأبد.

أشار رئيس المجلس بيده إلى شخصٍ آخر، وأنت حدثنا عن نفسك.

العضو رقم اثنين: أنا يا سيدي أعمل سائقاً في سيارات الأجرة، والصراحة عيني زائغة جداً ومنحرفة للغاية تجاه أي طيفٍ أسود مهما تدنت جودة جماله، عيني فيها ميلان محوري شديد نحو قلة الأدب، إن شاء الله لو كانت بقرة ذات لونٍ أسود، أهم شيء جسد متحرك عليه عباءة ذات خيالٍ أسود، لكن قلبي نظيف، وعندي ضمير، وأخلاق، وحشمة، ووقار، وذيل، قصدي: وعقال يتدلى منه ذيل، وأهم شيء الأخلاق في هذا الزمن الذي بارت فيه الأخلاق وكسدت.

الرئيس مقاطعاً: الزبدة؟ يعني: لماذا انتسبت إلى مجلس الحب المهيب؟

العضو رقم اثنين: أنا أحب وأعشق.

الرئيس: (شوف يا إبني) الحب غير العشق لا تخلط بين المعنيين.

العضو رقم اثنين: قصدي: أنا أعشق، نعم، أعشق، يعني (فيه شيء داخل قلبي يعورني)، كلما رأيت طيف تلك المعشوقة!

الرئيس: صف لنا هذا الشيء الذي يؤلم قلبك؟

العضو: كلما رأيتها يا دولة الرئيس، (حطيت يدي على قلبي، قصدي على جيبي، علشان فيه فلوس، والصراحة المعشوقة هذه كل

شوي تبي ذهب وخواتم، وهدايا، وموبايلات، يعني: عشق وخراب ديار، وأنا ما كنت أفكر في أن العشق كذا، يعني: كنت أبي منها شيء واخلص!!).

الرئيس: (إنتا قليل الأدب وإنسان واطي ووسخ جداً)، ما همك إلا قضاء وطرك النجس أيها المريض؟ اخرج قبح الله قفاك، لقد دنست مجلس الحب المهيب.

دولة الرئيس: وماذا عنك أيها العضو الثالث؟

العضو الثالث: دولة الرئيس، السادة الحضور، مشكلتي أنني عاطفي، أي امرأة أشوفها في الشارع أو على (الماسينجر)، أقول لها: أحبك وأهواك، وأرغب في الارتباط بك، وقد واعدت حتى اللحظة حوالي خمس عشرة امرأةً بالزواج، لأنني إنسان عاطفي جداً ولا أملك التحكم بأعصابي أو بنفسي.

الرئيس: خير إن شاء الله؟ خمس عشرة أنثى دفعةً واحدةً، (ليش حنا في سوق الخضراوات؟ يا أخي الشرع أعطاك الحق في أربعةٍ فقط، وش اللي طيحك على خمس عشرة امرأةً دفعةً واحدةً؟؟).

العضو الثالث: (تقدر تقول شركاء في الجريمة، يعني أنا عاطفي، وهن مجنونات! بس حلوة آخذ أربعة، وبعد فترة أغير أربعة، وهكذا دواليك، حتى أوفي بوعدي مع الجميع).

استشاط رئيس المجلس غضباً، وضرب بقبضته طاولة الاجتماعات قائلاً: (من فين تتحذف علينا هذه البلاوي؟) وهل نحن في سوق نخاسةٍ أيها الوغد؟ اخرج ولا ترجع إلى هنا أبداً، وتكلم يا عشاق القرمزية.

عاشق القرمزية: سيدي الرئيس، السادة الأعضاء المحبون، إنني أتمثل قول يوسف العظمة:

خاطبتني في حمانا ظبية:

أتحب الشوق في عين الصبيهْ؟

قلت: لا أعشق طرفاً ناعساً

وخدوداً وشفاهاً قرمزيهْ

إنما أعشق صدراً عامراً

يحمل الموت ويزهو بالمنيّهْ

أدركتْ سرّي فقالتْ ظبيتي

أنت لا تعشق غير البندقيهْ

الرئيس: أنت رجل شريف أيها العاشق، ولكن لا مكان لك هنا بيننا، فهذا مجلس عشقٍ وليس ساحة حربٍ، ومكانك أيها الرجل

الشريف في ساحات الوغى والعزة ورفع الرؤوس، ورؤوس غالبية الحاضرين هنا مطأطئة في خشوعٍ من هول لواعج النفس المعذبة بالشوق إلى المحبوبة، لذلك (عطنا مقفاك ومن غير مطرود)، وتفضل يا عاشق الأمل.

عاشق الأمل: إخواني العشاق، أنا عاشق شريف، عشقت فتاةً وعشقتني، فطار عقلي وانفطر قلبي وتمزق وجداني، كلانا اشترك في هذه الجريمة، هي ألقت علي كلاماً، وأنا مهدت لها السبيل، فوقعنا في الفخ ويا لهول ما وقعنا فيه إنها نيران العشق الملتهبة، التي تقتحم الأسوار دون سابق إنذار، لا أطمع فيها إلا بالحلال، ولا أرتضي تدنيس هذا الحب أو تلويثه، وقديماً قالوا: إذا نكح الحب فسد، ولْتلعنّي شفاهكم إلى يوم الدين إن رمت غير ذلك، أخاف عليها مني ومن ذئاب الزمان، وأشعر أني أقتلها بهذا العشق، ولا أمانع في قتل نفسي فداءً للتراب الذي تطؤه بقدميها، ألثم الهواء الذي مر بقربها، وأضع خدي على قارعة خطاها، قررت أن أضحي بنفسي لأجلها إن هي ابتعدت عني إكراماً لها فقط، قدمت لها هذه التضحية هديةً لمستقبلها ولروحها ثمناً بخساً تافهاً لا يرقى إلى موطئ تلك القدمين، فازدادت إيغالاً في حبها وعشقها، تعبتُ وجعتُ، مرضتُ وسهدتُ، لا أنام الليل، ولا أهنأ بحياةٍ، أصبح حالي كما قال الأول:

مــررن وقــد أقــصــرت خطوي تأدباً

وأجمعت أمـري في مـحـافظة الصبـر

فطأطأن للتــسليم منهن أرؤســاً

عليهـا أكـاليل ضـفـرن من الشـعـر

فـألقـيت كـفي فوق صـدري مـسلمـاً

وأطرقت نحـو الأرض منحني الظهـر

وأرسلت قلبي خلفـهن مــشــيـعــاً

فـــراح ولم يـرجع إلى حــيث لا أدري

كنت أردد قول شوقي:

صــوني جــمـــالك عنا إننا بشـــر

من التـــراب وهذا الحـــسن روحـــاني

أو فـــابتـــغي فلكاً تؤوينه مـلكاً

لا تنصـبي شـركـاً للعــالم الفــاني

ولكن لا حياة لمن تنادي، فأنا معذب أتمزق، وهي تتقلب على فراش الجمر من هول ما حل بي وبها، هل من ترياقٍ أو إكسيرٍ يمزق حبال هذا العشق القاتل وإلى الأبد، إكراماً لروحها لا لي؟ لقد استودعت روحي عندها حتى ألقى الله.

دولة الرئيس يكفكف دمعةً ساخنةً انحدرت على خده رغماً عنه، وقد اختلط بكاؤه بنشيج الأعضاء، ثم تمالك نفسه قليلاً قبل أن يقول: جرحت أرواحنا أيها العاشق الشريف، وخدشت شغاف قلوبنا، هذا حب سامٍ وراقٍ لم أسمع به من قبل إلاّ في كتب الأدب والتراث وأساطير ألف ليلةٍ وليلة، هذا حب نادر لا مثيل له في هذه الحياة، مرحباً بك عضواً محترماً وأميناً عاماً لمجلس الحب وإلى الأبد، أيها السادة: إنني ووفق الصلاحيات التي أعطيت لي في هذا المجلس، أعلن لكم تعيين عاشق الأمل أميناً عاماً لمجلس الحب ابتداءً من هذه اللحظة، وأعلن لكم انتهاء أعمال المجلس لهذا اليوم، وإلى لقاءٍ آخر من لقاءات الحب والعشق والشوق والغرام.

انفضّ المجلس وبقي دولة الرئيس وحده على طاولة الاجتماعات، فتح جهازه المحمول (اللاب توب) وشرع في إجراء اتصاله بالشبكة الدولية (إنترنت) فتح برنامج المحادثة (الماسينجر)، فجأةً فتحت نافذة لفتاةٍ اسمها توتو: (وينك، رد عليها أحبك)، نافذة أخرى للولو: تأخرت، أجابها: أعشقك، ثالثة لفتاةٍ رمزت لاسمها بالفاتنة: (وين الناس؟) أجابها: أنت فقط ولا أحد سواك، سادسة، وسابعة وخمسين، ومائة، مسج على الجوال، رنة محمولٍ آخر، وهو يردد كلماتٍ ممجوجة ولزجةً ومُرّة وخاويةً وتافهةً لا معنى لها، أحبك، أعشقك، أذوب فيك، أموت لأجلك، أنا وأنت والهوى، ورابعنا الشيطان.....


انتحار
انتحار حمار
حمار

إنها الواحدة بعد منتصف ليلة السبت، تلك الليلة المشهورة التي توارى فيها القمر خجلاً أو خائفاً خلف السحاب، كانت ليلةً طويلةً للغاية، ليلة لاذت فيها جميع المخلوقات الطائرة والزاحفة والسيارة إلى أعشاشها، وجحورها، وأوكارها.

كان الهواء ساكناً، والهدوء قاتلاً، والصمت مطبقاً على سكان تلك المزرعة الصغيرة، ذات الأبنية المتصدعة القديمة، والقابعة خلف تلك التلة النائية عن طوفان الحضارة والعمران! مزرعة متواضعة كغيرها من المزارع التي يمتلكها عوام الناس، كان صاحبها شيخاً كبيراً، متضعضع القامة، متهالك الجسد، تساقطت أسنانه النخرة، وجف جلده الأسمر فوق عظمه، وامتصت الحياة رحيق عمره، وزهرة شبابه. وكان يعيش مع هذا الشيخ الهرم في تلك المزرعة زوجته العجوز المريضة، التي اشتعل رأسها شيباً، واحدودب ظهرها بشكلٍ يدعو للرثاء والرحمة، إضافةً إلى القوام الأساسي لتلك المزرعة، والذي تكوّن في الجملة من قطيع أغنامٍ، وبقرتين وثور، وَقُنّ مليء بالدجاج، وحمارين أحدهما أبيض سمين، والآخر أسود قصير وضعيف البنية.

أوى الشيخ إلى فراشه باكراً كعادته دائما، واستلقت بجواره زوجته العجوز، وماهي إلا لحظات حتى سُمِع صوتُ غطيط الشيخ المختلط بشخير الزوجة المتعبة، وسرعان ما امتزج الصوتان واتّحدا

في رتمٍ واحدٍ مشكلان سيمفونيةً غريبة من أغرب الألحان المرعبة المشروخة! خااااااااخ، خييييييييييخ، خاااااااااااخ، خوووووووووووخ.

على يمين البيت غرفةٌ خشبية مطلية بالقار الأسود يقطنها الحماران المتعبان من عمل النهار، كان الحمار الأبيض يلوك بتكاسلٍ برسيماً أخضر مائلاً إلى الصفرة بفعل سياط أشعة الشمس المحرقة، بينما كان رفيق دربه الحمار الأسود مشغولاً بحك ظهره إلى حائط الغرفة بقوةٍ وهو منزعج للغاية، مبدياً تبرمه الشديد في الحظيرة من التعب والضنك والإرهاق من عمل النهار، ومن صوت شخير الشيخ والعجوز الذي كان يصل إلى أذنيه مخترقاً أخشاب الكوخ المتشققة.

انبرى الحمار الأسود مخاطباً رفيق دربه في غيظٍ شديدٍ: إلى متى الصمت على هذا الذل والعنت؟

الحمار الأبيض: أي ذلٍّ وأي عنتٍ يا صديقي العزيز!؟

الحمار الأسود: تعب النهار المضني يا أخي، وإزعاج هذا الشيخ لنا بالشخير الغريب، لقد جفاني الكرى يا أستاذي.

الحمار الأبيض: احمد الله على هذه النعمة، ولا تكفر!

الحمار الأسود: اللهم لا اعتراض، ثم قل لي بربك: أين هذه النعمة، وما وجه الكفر؟

الحمار الأبيض: إننا نأكل ونشرب ونعمل مثل بقية خلق الله، والتغاضي عن هذه النعمة طريقك إلى الكفر بها.

الحمار الأسود: يا أخي في أوربا وأمريكا الحمار لا يعمل.

الحمار الأبيض: الأخ مثقف أم متطفل على الثقافة؟

الحمار الأسود: عندهم جمعية لرعاية مصالحهم الخاصة، والاهتمام الشخصي بالعلاج والنظافة والطعام بل وتوفير (أتانٍ) جميلةٍ جدا لكل حمارٍ.

الحمار الأبيض: لا أعتقد أن هذا الكلام صحيح ألبتة، البشر لا أمان لهم على الإطلاق، وهم المخلوقات الوحيدة على هذا الكوكب التي تقتل لأجل شهوة القتل فقط، ثم ما الذي تقصده بقولك: إن الغرب يقوم بتوفير إتانٍ جميلةٍ لكل حمارٍ، هل تدعو إلى إباحية لا أخلاقية لا سمح الله؟

الحمار الأسود: أنت حمار!

الحمار الأبيض: احترم نفسك، ولا تتجاوز حدودك لو تكرمت.

الحمار الأسود: هل تشك أنك حمار يا حمار؟

الحمار الأبيض: احترم نفسك ولا تغلط رجاء، هناك حدود موضوعية في النقاش لا تتجاوزها، ثم إنني لا أريد الاستعانة

ببعض الأساليب غير الحضارية في التعاطي معك، احفظ وقارك لو تكرمت.

الحمار الأسود: إنني لا ألومك بقدر ما ألوم نفسي، أنا الملام لأنني تبادلت معك شيئاً من آرائي السياسية والفكرية المتحررة.

الحمار الأبيض: الآراء الفكرية لا تكون بالشتم وقلة الأدب يا صاحب الأسلوب الحضاري.

الحمار الأسود: أعرني سمعك عزيزي، ودعك من هذا الجدل البيزنطي، لقد حسمت أمري بعد تفكيرٍ عميقٍ، وخلصت إلى اتخاذ هذا القرار المصيري، سأغير وضعي للأحسن، ولا يتأتى ذلك إلا بالهجرة إلى الخارج، أوربا أو أمريكا، وفي أسوأ الاحتمالات أهاجر إلى أستراليا، وهناك أحصل على الجنسية وأتزوج، والدولة تصرف علي، ولا شغل ولا مشغلة.

الحمار الأبيض: افعل ما بدا لك، لكن تذكر واحفظ عني هذه النصيحة جيداً، من خرج من داره قلَّ مقداره.

مرت على هذه المحاورة أشهر عدة، وها هو الحمار الأسود يقلبها في ذاكرته ساخراً بها وبنصائح صاحبه الحمار الأبيض، عندما امتطى ظهر سفينة أخشابٍ متجهة إلى دولة استراليا، كان مسروراً مزهواً بنفسه، يشم رائحة البحر المختلطة باليود، ويقول لنفسه: صحيح أنك حمار أيها الحمار الأبيض، رضيت بالذل

والمهانة والاسترقاق إلى الأبد، إنني أضع نقاشي معك على المحك والعبرة بالنهاية.

وصلت الباخرة بعد أيامٍ عدة إلى ميناء ملبورن بأستراليا، ونزل ركاب سفينة الأخشاب إلى الميناء وفي مقدمتهم الحمار الأسود، وما إن وصل إلى موظف الجوازات حتى صاح بأعلى صوته: إنني أطلب حق اللجوء السياسي، فأنا مضطهد في بلدي!!

تم اقتياد الحمار الأسود على الفور إلى المركز الخاص بطالبي اللجوء السياسي، حيث أفردت له غرفة، أقصد: زريبةٌ خاصة وضعت فيها حاجياته الخاصة، من بردعةٍ ولجام استرقاقٍ ونحو ذلك، تمطى قليلاً ثم استرخى، وبدأ يدندن بصوته المنكر عالياً، قدم إليه طعام جيد وأخضع لكشفٍ طبيٍ دقيق للتأكد من حالته الصحية والنفسية.

في اليوم التالي اقتيد الحمار الأسود إلى مركز التحقيق الخاص بطالبي اللجوء السياسي، أدخل على الضابط المختص بدراسة طلبات الهجرة واللجوء، سحب كرسياً وجلس عليه واضعاً قدماً على قدم.

قال له الضابط: اسمك؟

الحمار: اسمي حمار.

الضابط: كم عمرك؟؟

الحمار: سنتان ونصف.

الضابط: أنت صغير السن يا بني وما زلت قاصراً.

الحمار: يا أخي أنا بلغت الحلم منذ عامين!

الضابط: هل تعرضت إلى أي اضطهادٍ بفعل المعتقد أو الانتماء، هل ضربت أو اعتقلت أو هددت؟؟

الحمار: الضرب نعم وبشكلٍ يومي، لكن الاعتقال أو التهديد، لا لم أتعرض لذلك.

الضابط: هل عانيت من عقدٍ عنصريةٍ تجاه لونك!؟

الحمار: على الإطلاق.

الضابط: هل تنتمي إلى أي حزبٍ من الأحزاب السياسية؟

الحمار: لا أنتمي إلى أي حزبٍ سياسي.

الضابط: هل سبق أن نشرت رواية لا أخلاقية تمس الدين والأخلاق؟

الحمار: أعوذ بالله.

الضابط: هل لديك أي انحرافات لا أخلاقية؟

الحمار: أبداً، باستثناء عيني (شوي) زائغة، يعني: منحرفة قليلاً، بالعربي الفصيح (تطلق النظر) تجاه أي أتان مهما تدنت جودة جمالها.

الضابط: هل أنت شيوعي؟

الحمار: لا، لكن جدي كان شيوعيا.

الضابط: هل تتبع أي تنظيم حركي أو حزبي؟

الحمار: لا.

الضابط: خلايا عنقودية؟

الحمار: لا.

الضابط: خلايا جذعية؟

الحمار: نو.

الضابط: هل أنت حمار؟!

الحمار محتداً: لا، أنا شبه حمار! ما الذي تراه أمامك، حصان لا قدر الله؟! أم بغلاً؟! أنا حمار من نسل حميرٍ، (اخلص علينا يا خوي!).

الضابط: حسناً، غداً نعطيك نتيجة الإنترفيو (المقابلة).

الحمار: أود أن تعرض قضيتي على قاضٍ مستقلٍ صاحب قلبٍ رحيمٍ.

الضابط: لا حاجة لك بذلك طالما أنت لست مضطهداً أو مهدداً في حياتك الخاصة.

عـاد الحـمـار إلى مـركـز احـتـجـازه وبقي هناك يمنّي نفسـه، ويعدها مستقبلاً واعداً مشرقا على أرض الأحلام، في اليوم التالي طلب منه مقابلة ضابط الهجرة المسؤول، دخل على الضابط وحياه ثم جلس.

الضابط: بعد أن أجرينا تحرياتنا السرية الدقيقة عنك وعن تاريخك وتاريخ أجدادك، وبناء على طبيعة أجوبتك التي ألقيتها أمامنا قررنا عدم منحك حق اللجوء السياسي.

الحمار: (واي) يا أخي؟

الضابط: (بيكوز) عدم وجود أي خطرٍ يتهددك، فلا أنت تتبع تنظيماً معيناً، لا تتزعم حركةً راديكالية أو سياسية، ولم تقم بتأليف أي كتاب يزعزع استقرار الدولة أو يهدد أمنها القومي، ولست مطارداً ولا مضطهداً، إضافةً إلى عدم وجود أية مقالاتٍ لك فيها تنظيرات سياسيةٍ أو فكريةٍ.

الحمار: يا حضرة الضابط أنا شيوعي.

الضابط: اقلب الشريط، تحرياتنا تثبت عكس ذلك.

الحمار: هل تريد مني أن أحلف لك؟؟

الضابط: لا حاجة لي بحلفك، (قالوا للحمار: احلف، قال: جاك الفرج)، أنت مجرد حمارٍ كسول صاحب توجهاتٍ ليبراليةٍ

رأسمالية نفعيةٍ، تركت حظيرتك رغبةً في طلب المتعة والفساد الأخلاقي، تطارد عشرات الأُتن وتريد من الدولة أن تصرف عليك وعلى قلة أدبك.

الحمار: الشطر الأول من الاستنتاج صحيح، لكن لماذا لا تسألني عن السبب، أنا صاحب أطروحات تدعو إلى الإباحية غير الأخلاقية في المجتمع، وعودتي إلى بلدي تشكل خطراً مباشراً عليّ وعلى فكري المتحرر.

الضابط: تحرياتنا الخاصة تثبت عكس ذلك، أنت مجرد حمارٍ كسولٍ ملَّ من عمله الذي خلقه الله لأجله.

الحمار: أنا حمار مفكر، ثم تعال هنا، تعرف من يكون والدي؟

الضابط: لا – ومن يكون؟

الحمار: والدي كان يكتب شعراً يدعو فيه إلى شيوع العلاقات المحرمة، والاختلاط بين الجنسين، توفي في الخارج من شدة ما ناله من تبعات تلك الأبيات الشعرية.

الضابط: أقول.

الحمار: تفضل.

الضابط: اغرب عن وجهي، وغداً سوف يتم ترحيلك إلى وطنك.

الحمار: يا أستاذي الفاضل، يا سيدي الكريم، أنا علماني صرف، وخذها قاعدة كل علماني حمار، وليس كل حمارٍ علماني.

الضابط: (بلاش فلسفة)، انتهت المقابلة.

عاد الحمار إلى مركز احتجازه حزيناً، يجر قدميه جراً، مطأطئاً رأسه، محطمةً آماله، وعندما وصل إلى حظيرته ألقى بنفسه على الفراش بعد أن هدّته هذه المحاورة التي وأدت حلمه وإلى الأبد بالإقامة في الخارج، استغرق في نومه العميق، ليستيقظ بعد سويعات قليلة وقد دبت في أوصاله بوادر النشاط والحيوية، لقد عزم على تنفيذ أمرٍ خطيرٍ جداً، سوف يهدد رجال الشرطة بأنه سيلقي بنفسه من أعلى المركز منتحراً إذا لم يُلَبَّ طلبه على الفور.

تمكن الحمار من التسلل خلسةً بعيداً عن أعين حراس المركز، حتى وصل إلى السلالم التي تؤدي إلى أعلى مركز احتجاز المهاجرين وطالبي اللجوء السياسي، صعد السلالم ووصل إلى سطح البناء، ثم اخترق الشرفة ووقف عليها وبدأ بالنهيق، تجمع حراس المركز أسفل البناء على إثر هذه الضجة الحمارية، وخاطبه كبيرهم: انزل يا حمار.

قال له الحمار: إذا اقترب مني أحد فإنني أقسم بالله إنني سوف ألقي بنفسي من أعلى.

الضابط: انزل (وبلاش مشاكل ووجع دماغ).

الحمار: أريد الصحافة، أريد مندوباً عن جمعية حقوق الحمير، أريد الإذاعة، أريد مندوباً عن مفوضية شؤون اللاجئين، وإلاّ.

الضابط: ماهي طلباتك؟؟

الحمار: أريد حق اللجوء السياسي، فأنا شيوعي إباحي علماني ابن كلب! أقصد ابن حمارٍ.

الضابط: حسناً، ماذا تريد من الصحافة؟؟

الحمار: أريد إيصال صوتي إلى العالم، أريد أن أكشف لهم حجم البؤس والشقاء والتعاسة التي تعيشها المرأة في مجتمعي، تصدق بالله يا حضرة الضابط؟

الضابط: لا إله إلا الله.

الحمار: المرأة في بلدي لا يسمح لها بقيادة السيارة، ولا يسمح لها بالخروج بمفردها إلا مع ذي محرم.

الضابط: ما دخلي أنا؟؟

الحمار: أريد أن أعلمك بخطورة الوضع الذي تعيشه المرأة في وطني تحت قوى التطرف والتخلف والرجعية والظلام!

الضابط: أنا لا أتدخل في سياسات الدول الأخرى.

الحمار: طيب، هل تصدق بالله؟

الضابط: قلنا لك: لا إله إلا الله.

الحمار: المرأة عندنا لا يحق لها أن تستخرج بطاقةً شخصيةً إلا بإذن ولي أمرها، ولا تجرؤ على الخروج من دارها، إلا إذا وضعت خيمة على رأسها!

الضابط: اسمعني يا حمار، انزل من أعلى واستعذ بالله، أنت مجرد حمارٍ لا تفهم شيئاً، وتاريخك يثبت أن ما تحمله من أفكارٍ وتنظيراتٍ، هي من ركام الفوضوية والانحلال التام الذي عانى من الغرب على يد (الهبيز) في ذروة الستينيات من القرن المنصرم، يعني: ما عندك أي توجهٍ ولا انتماء فكري أو أدبي، باختصارٍ شديدٍ، (ما عندك أي سالفة).

الحمار: كلامك صحيح، لكنني أود الحصول على حق اللجوء السياسي حتى أمتع نفسي بملذات الحياة عندكم من أُتن وخمرة وحشيش وكفر وعربدة وقلة أدب، (شوف يا حضرة الضابط فيك من يكتم السر؟).

الضابط: قل ما عندك، فقد نفد صبري؟

الحمار: أنا علماني عربي، والعلماني العربي باختصارٍ شديدٍ، لا همّ عنده إلا قضاء الوطر، وأن يلغ في أعراض الإناث، يروي

عطشه، لا تعتقد أن القضية فكراً أدبياً، أو تنظيراً سامياً، أو انعتاقاً من شرنقة التخلف والجهل (نبي إتانات) أريد الحرية يا أخي!

الضابط: الخلاصة، توقف عن هذه الضجة والحركات الاستعراضية الفارغة، حافظ على حياتك وحياة الآخرين وغادر موقعك فوراً.

الحمار: تصدق بالله يا سيدي الضابط؟

الضابط: أعوذ بالله، ما الذي تريده بالضبط؟

الحمار: إن المرأة لدينا، لا تجرؤ على زيارة حديقة الحيوان إلا بمفردها، حتى مدينة الملاهي لا تدخلها إلا وحدها، ما تدخل مع أقرانها من الذكور، هل رأيت هذه النظرة الدونية للمرأة في مجتمعنا؟ أين الحرية؟ أين الديموقراطية؟ أين الثقافة والتقدم؟ أين الأتن!!؟

الضابط: ليست قضيتي، غادر موقعك الآن.

الحمار: أبدا أبدا، الصحافة أو أقتل نفسي.

الضابط: لا توجد لدينا صحافة في هذا الوقت المتأخر من الليل، ولن نسمح للصحافة بالدخول إلى هذا الموقع العسكري الخاص.

الحمار: سألقي بنفسي من أعلى، إنني أحملك كامل المسؤولية الأدبية والحمارية والأتانية! أقصد: والإنسانية، لما سأتعرض له من جراء هذه العملية، ثم تحرك قليلا يريد أن يهدد الضابط والجنود، وأثناء تحركه المضطرب، اختل توازنه ومادت به الأرض؛ ليفقد السيطرة على نفسه تماماً، زلّت به القدم وهوى من شاهقٍ، فكان الارتطام المروع (كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل).

الضابط يحدث نفسه وهو يرى هذا المشهد الميلو درامي: صدق الذي قال:

"ولو لبس الحمار ثياب خزٍّ

لقال الناس: يا لك من حمار"

في اليوم التالي نشر خبر صغير في آخر صفحةٍ من صفحات جريدةٍ مغمورةٍ، انتحار حمارٍ مهاجرٍ، عانى من أمراض نفسيةٍ بفعل العقد الجنسية الخطرة التي تراكمت في ذهنه، نتيجةً لإدمانه على القراءات غير المنضبطة لأدب الفراش! ومتابعاته المستمرة لمواقع الصفحات الإباحية، في إحدى مراكز اللجوء السياسي!!


انتحار
حليب الإرهاب
حمار

كانت أم خالدٍ تعد القهوة لزوجها أبي خالدٍ عندما داهمتها آلام الطلق على حين غرةٍ، وأمام تلك التقلصات المتدفقة لم تستطع تمالك نفسها، فأسقطت كوب القهوة الساخن من يدها وهي تصرخ مستغيثةً بزوجها: أدركني بالله عليك..... إن أحشائي تتمزق!

انتفض الزوج العطوف، وقفز من فوق أريكته في صدر المجلس، ليتوجه بسرعةٍ إلى المطبخ وصوت صرخات الزوجة المتلاحقة تفقده البقية الباقية من توازنه وتفكيره.

فوجئ أبو خالدٍ بمنظر الألم الذي رسم خطوطه العميقة على وجه زوجته التي ألم بها المخاض، وأرغمها على الاستلقاء ملتويةً فوق أرضية المطبخ الرخامية في وضعٍ جنينيٍ، طوقها زوجها بساعديه القويتين، وحملها بسرعةٍ إلى سيارته، ومن ثم قادها بشكلٍ جنونيٍّ حتى وصل بها إلى مدخل الطوارئ بإحدى المستشفيات الحكومية.

وهناك أودع زوجته قسم الولادة بعد أن وقّع الأوراق الرسمية، ثم اختار كرسياً وقعد بجوار المنتظرين متضرعاً ربه تعالى أن ينهي أزمة زوجه على خير، دار حديث سريع بينه وبين جاره، فهم منه الجار أن هذه هي المرة الأولى التي يحضر فيها أبو خالد زوجته إلى قسم الولادة، وأن الله سبحانه قدر على أهل بيته الحمل بثلاثة توائم دفعة واحدة، وهي المرة الأولى التي يخوض فيها غمار تجربته كأب ولثلاثة توائم.

في غرفة العمليات كانت أم خالد تصرخ من شدة آلام الطلق، مرت الساعة الأولى ثم الثانية على رأس المسكينة كدهرٍ لا يتصرم حبله، كانت ولادتها متعسرة للغاية، حاولت الطبيبة المتخصصة بعمليات التوليد مدَّ يدِ المساعدة لإخراج الطفل الأول من رحمها، والذي كان يعترض طريق بقية التوائم، لكن جميع محاولاتها المضنية باءت بالفشل الذريع، كان الطفل يقف في الطريق كحجر عثرة، ويرفض أن يتزحزح عن مكانه قيد أنملة.

اضطرت الطبيبة في نهاية المطاف إلى مهاتفة الطبيب الاستشاري المتخصص في مثل هذه الحالات المستعصية، والذي حضر على جناح السرعة ومعه ثلاثة أطباءٍ متخصصين في الجراحة والتوليد، اكتسبت عملية الولادة تلك زخماً من الأهمية الطبية حفاظاً على حياة التوائم والأم المسكينة.

دخل الطبيب إلى الجناح الخاص بالولادة، وشرحت له الطبيبة المتخصصة أبعاد المشكلة، استنطقها الطبيب عن جميع الإجراءات التي قامت بها لإخراج الطفل، فأخبرته بأنها لم تدّخر وسيلةً ولم تألُ جهداً في المساعدة، ولكنّ الطفل يأبى الخروج من الرحم!

قال الطبيب: إذن، لم يترك لنا الطفل خياراً آخر..... إنها الجراحة. أومأ الجميع بالموافقة، وقبل أن تتحرك عربة المريضة إلى غرفة العمليات، سمع الطبيب صوتا خفيضاً يقول له: انتظر!

قلّب الطبيب طرفه يمنةً ويسرة، محاولاً التعرف على مصدر الصوت، نظر إلى الوجوه المحيطة به من أطباء وطبيباتٍ وممرضات، ولم يرَ في ملامح الحاضرين سوى نظرات الحيرة المختلطة بالاضطراب والشك!

سأل الطبيب الحاضرين من أطباء وممرضاتٍ: من الذي تكلم؟ أجابته نظرات الصمت الحيرى من الجميع، ولم يجب على سؤاله أحد، شك في نفسه ثم قال: هيا بنا.

سمع الطبيب الصوت مرةً أخرى يقول: قلت لك: انتظر!!

قال الطبيب: من المتحدث!؟

وهنا سمع الجميع صوت الطفل داخل رحم أمه: ماذا تريد أن تفعل؟

قال الطبيب: لماذا ترفض الخروج من بطن أمك يا ولد؟

الطفل: والله يا أخي لا أريد أن أخرج!

الطبيب: هل لي بمعرفة السبب؟

الطفل: يمكنك القول: إنها أسباب خاصة، لا أستطيع أن أبوح لك بها!

الطبيب: لكنك بموقفك الرافض هذا تعترض طريق بقية

إخـوانك، ويجب عليك أدبياً أن تـتـزحـزح قليـلاً، حـتى يـتمكـن بقـيـة التوائم من الخروج، هذا إذا كنت لا تريد أن تخرج أنت!

الطفل: هما لا يريدان الخروج أيضا!

الطبيب: من الذي فوضك بالحديث نيابةً عنهما؟

الطفل: يمكنك القول: إن قرارانا اتخذ بالإجماع!

الطبـيـب: (شـوف يا ابنـي) اطلع بالتـي هي أحـسـن، واسـتـعـذ بالله من الشيطان الرجيم!

الطفل: لن أخـرج من هنا مـادمـت حـيـاً، وتوكل على الله، من غير مطرودٍ لو سمحت!؟

الطبيب: حسناً، زودني بسببٍ وجيهٍ مقنعٍ؟

الطفل: لا تعليق!

الطبيـب يضـرب كفـاً بكف ويتمـتم: (عـالم غـريبـة، وحـالة فـريدة) أحتاج إلى مساعدةٍ عاجلةٍ من قبل الاستشاري الأول في الأمـراض النفسية والعصبية!

تم إعلان حالة الطوارئ القصوى في جناح الولادة إثر تأزم هذا الموقف، وجـاء الاسـتـشـاري الأول في الأمـراض النفـسـيـة المسـتـعـصـيـة على عـجلٍ ومـعـه مـجـمـوعـة من كبـار الاسـتـشـاريين والإخْـصـائيّين في الأمراض النفسية وطب الصدمات في المستشفى.

دخل الطبيب إلى غرفة الولادة الخاصة التي أفردت للأم المسكينة، ثم وقف على رأس الأم قائلاً للجميع: أريد منكم جميعاً إخلاء الغرفة فوراً... ذروني والطفل، ثم بدأ في مخاطبة الطفل بأسلوبٍ ودود: (شوف يا ابني) الحياة لا تستحق وجع الدماغ وهذه المشكلات التي تقوم بإثارتها داخل المستشفى وغرفة الجراحة، يا بني المستقبل ينتظرك، والدنيا المبهجة تناديك، فتعال إلى أحضانها الواسعة (اطلع يا بني وخلينا ننسى الموضوع) وعفا الله عما سلف!

الطفل: يبدو لي أنني أتعامل مع مجموعةٍ من الأغبياء والحمقى، قلت لمن سبقك: لن أخرج من هنا إلا جثة هامدة!

الطبيب: (يا ابني إيش الأفكار السوداوية هذه؟ خلي عندك أمل في الحياة)، أنت مجرد طفلٍ صغيرٍ جميلٍ مهذب ومؤدب، اخرج يا ولدي، لدينا حليب لذيذ الطعم، وألعاب ملونة، ومربيات على درجةٍ عاليةٍ من التأهيل والتعليم والتفاني في الخدمة، اخرج ولك الأمان التام، اخرج ولن تتعرض لأية مساءلةٍ أمنيةٍ!!

الطفل: توكل على الله (وبلاش فلسفة وكلام فارغ!).

الطبيب: (شوف يا ولدي)، لعل أحد المغرضين زودك بفكرةٍ سيئةٍ عني أو عن المستشفى، والأمر ليس كما صور لك، (اخرج يا ابني وخلينا نتفاهم) بالذوق وبأسلوب حضاري يليق ببني البشر.

الطفل: أقول؟

الطبيب: (إيوه يا إبني؟).

الطفل: هل يعاني جميع أطباء الأمراض النفسية من الحماقة والبلادة مثلك!؟

ابتلع الطبيب الإهانة السافرة وشرع في مخاطبة الطفل بودٍ وضراعةٍ: طيب، سؤال أخير لو تكرمت يا بني، وقبل أن أطرح عليك هذا السؤال بودي أن أشرح لك معنى كلمة طبيبٍ نفسي! الطبيب النفسي يا بني لا يمكنه تحت أي ظرفٍ من الظروف أن يفضح سر مريضه حتى لو تم تهديده من قبل أي طرفٍ آخر، سؤالي يا ولدي ما هو السبب الذي بموجبه رفضت الخروج من بطن أمك؟

الطفل: أولاً أنا لست مريضاً نفسياً.

الطبيب يقاطع: عفواً عفواً خانتني العبارة يا بني، تفضل.

الطفل: ثانياً هناك سبب جوهري بموجبه رفضت الخروج إلى دنيا المعاناة هذه!

الطبيب يذوب رقة ويقول بمنتهى الأدب: ممكن أن أعرفه يا بني؟

الطفل: يا دكتور.

الطبيب: (تفضل يا إبني).

الطفل: اغرب عن وجهي يا ثقيل الظل، (ترى بدأ صبري ينفد أنا والجماعة التي معي في الداخل!).

الدكتور: طيب، يا بني، هل لي بالحديث مع أحدٍ من الجماعة المتحصنين معك في الداخل؟

الطفل: الجماعة في الداخل يقولون لك: لا نريد الحديث معك ولا مع غيرك! بالعربي الفصيح اغرب عنا وولنا ظهرك، لقد مقتنا وجودك واستثقلنا حضورك.

الطبيب (في ضراعة): يا بني، الله يرضى عليك، مستقبلي على المحك حتى لو لم تخرج أنت ومن معك، الإدارة تحتاج إلى تفسيرٍ لهذا الوضع المتأزم في الداخل؟

الطفل: تريد تبريراً إذن؟

الطبيب (متوسلاً): أرجوك!

الطفل: يا دكتور، أنا حاولت أن أكتم سري ولكنك ألححت عليّ كي أخبرك به.

الطبيب (متلهفاً): (قول يا إبني) تكلم وسرك في بئر، هل جرحت مشاعرك على يد القابلة مثلاً، هل تعاني من أيّ مشكلات عاطفيةٍ أو مالية!!؟ صدقني أستطيع مساعدتك!!

الطفل: يا دكتور تريدني أن أخرج إلى دنياكم هذه؟

الطبيب: ولم لا؟ دنيا جميلة جداً فيها جميع ما يتمناه الإنسان العاقل!

الطفل: إذن اسمع مني هذه الكلمات.

الطبيب: تفضل يا ولدي، كلي آذان صاغية.

الطفل: دنياكم هذه يتربع على عرشها الظالمون، ويزحف في أزقتها المظلومون، يحكمها الأقوياء ببطشهم، ويلوذ فيها الضعفاء بضعفهم، ينهب خيراتها الأغنياء، ويحرم من حظوظها الفقراء، لا يعلو في دنياكم سوى صوت السفهاء، ولا يقمع فيها غير صوت الشرفاء، لا تسلط الأضواء فيها إلا على السفلة، وتخفت تلك الأضواء وتتلاشى عن الضعفة، يا دكتور: لا حاجة لي بهذه الدنيا، أقصد: لا حاجة لي بهذا الجحيم الذي لا يطاق، هذه ليست حياة، هذه أدغال وحشية.

امتقع وجه الطبيب وتلون بجميع ألوان الطيف، ترنح قليلاً من خطورة حديث الطفل قبل أن يتمالك نفسه ليقول: الكلام الذي قلته آنفاً، كلام خطير للغاية ويعاقب عليه القانون، وأنا لست على استعداد لأن أخسر حياتي ومستقبلي من أجلك!

الطفل: قلت لك منذ البداية، اغرب عن وجهي لكنك لم تستمع إلى نصيحتي.

الطبيب (محتداً): للمرة الأخيرة أقول لك: اطلع يا حيوان (وبطل فلسفة وكلام في السياسة)، غرّ رضيع ينظّر في السياسة،

كأنك تريد لرؤوسنا أن تطير من فوق هاماتنا؟ اخرج وإلا هشمت رأس أبيك!

الطفل: ارحل بعيداً أيها الرعديد الجبان!

الطبيب: على نفسها جنت براقش، وأنت لم تجنِ على نفسك فحسب، بل على والدتك ووالدك وبقية الزمرة الإرهابية الذين يحتمون معك في الداخل، للمرة الأخيرة أكرر ندائي، اخرج وإلا أبلغت عنك رجال الشرطة!؟

الطفل: بلغ الطاغية الذي يحكمكم لو أردت!!

الطبيب (يشد شعره ويصرخ من شدة الرعب): اسكت يا مجنون، ستتسبب في هلاكنا أجمعين، اخرس قبل أن يتم إبعادنا إلى ما وراء الشمس!!

الطفل: هذا ما لدي، وإن لم تغرب عن وجهي فسيأتيك الأشد!!

خرج الطبيب من غرفة الولادة ممتقع اللون يلهث من شدة الرعب، ثائراً من الحنق والغيظ وسيل الإهانات الذي انهال على رأسه من الصبي، تلقاه استشاري الولادة قائلاً: هل من بشارة؟

الطبيب النفسي: القضية تمس أمن الدولة العليا اتصل بالسلطات، بالأمن الداخلي أو بالدفاع، أو اتصل بمصلحة الأمن

القومي، وانسحب فوراً قبل أن تفقد منصبك لا بل حياتك وحياة من تحب، انسحب فوراً الآن!!

طوق المستشفى على الفور من قبل قواتٍ من الجيش والشرطة، وقوات الأمن الخاصة، وحامت فوق سطحه المروحيات المسلحة بالصورايخ والمدافع الرشاشة!! كما توافدت صوب المستشفى جموع هائلة من الصحفيين ورجال الإعلام ومراسلي وكالات الأنباء العالمية، وبدأت التقارير تتحدث عن أحد الأطفال الإرهابيين من إحدى التنظيمات الراديكالية المتطرفة، قام باحتجاز مجموعة من الأطفال داخل رحم والدته!!وذكرت التقارير الصحفية أن الطفل يرفض الخروج ويشتم ولي أمره، كما يشتم النظام العالمي الجديد ويحرض على قلب نظام الحكم!!

راقبت دول الجوار ودول العالم الوضع عن كثب مبديةً قلقها الشديد، كما طلب وزير الداخلية من رئيس المخابرات أن يعد له تقريراً عن هذا الإرهابي الصغير المتحصن داخل رحم أمه، والذي قلب الدنيا رأساً على عقب، وفي دقائق معدودة، ومضت الشاشات السوداء بكلماتٍ تشبه أقدام الخنافس السوداء، وخلال جزءٍ من الثانية خرج التقرير السري ليرفع إلى معالي الوزير، امتقع وتلون وجه **معالي الوزير قائلاً لمستشاره:** كيف استطاع الإفلات من قبضة رجالنا الذين طهروا الوطن من فلول الأوغاد والخونة!؟

أجاب المستشار: هؤلاء الملاعين كالعفاريت، يخرج من بطن أمه مقاتلاً ليقاتل ويقاتل، ثم يعود مرةً أخرى دون أن يتمكن أحد من إلقاء القبض عليه!

أجاب الوزير: أريد إنهاء هذا الوضع المتفجر فوراً وبأي طريقةٍ ممكنة، دول العالم تراقبنا ووسائل إعلام الغرب لا ترحم، لا نريد شوشرة، بهدوء وحنكةٍ وحزمٍ! هل تستوعب ما أقول!؟

المستشار: نعم يا سيدي. ولكن فخامة السلطان قطع إجازته التي كان يقوم بها إلى جزيرة (خوريا موريا) وعاد على الفور، وأبلغني أنه قام بتشكيل مجلسٍ مصغرٍ للأمن القومي لمناقشة هذه القضية الخطيرة، وسوف ينعقد المجلس خلال نصف ساعة من الآن.

معالي الوزير: هيا بنا إذن.

وصل معالي الوزير إلى مجلس الأمن القومي الأعلى، كان جميع الوزراء في الدولة وأعضاء مجلس الأمن القومي حاضرين، لم يتخلف منهم أحد، وكان رأس السلطة الهرمي، سلطان الدولة بهيبته وعظمته يجلس غاضباً وعيناه تقدحان شرراً، وقد انتفخت أوداجه وتفصد جبينه عرقاً من شدة الغيظ، ليصرخ قائلاً بعد أن ضرب الطاولة بقبضتيّ يديه: من المسؤول عن تفاقم هذه القضية الإرهابية الخطيرة، من المسؤول عن هذه المهزلة؟

شخصت أبصار الحضور إلى معالي وزير الداخلية الذي تتحنح في حرجٍ شديدٍ قائلاً: سيدي دام ظلك، وقمع عدوك، وطال عمرك، الوضع تحت السيطرة التامة!

صرخ السلطان وهو ينهال على الطاولة براحة يده اليمنى: كيف تحت السيطرة؟

الوزير: المستشفى مطوق بإحكامٍ لا نظير له، حتى إن النملة لا تستطيع أن تدخل أو تخرج إلا بإذن رسمي موقع مني!!

قاطعه السلطان: لأجل هذا استطاع العضو الراديكالي الإرهابي أن يدخل ويخرج كما يحلو له، وينتقد الحكومة والسلطان ويهيج العامة على الحكومة، ويشتم النظام العالمي الجديد ها؟ ازدرد معالي الوزير لعابه بصعوبة قائلاً: دام ظلك وقمع عدوك... قاطعه السلطان: اخرس إلى الأبد! ثم قال السلطان للمجلس: والآن ماهي الإجراءات المتبعة لمعالجة هذا الوضع الخطير؟

انبرى وزير الدفاع قائلا: دام عزك وقمع عدوك، أرى أن يتم قصف المستشفى بجميع أنواع الأسلحة ويباد جميع من فيه (ويا دار ما دخلك شر!!).

السلطان: غيره؟

وزير الزراعة: أرى أن ترش جميع ممرات المستشفى بالمبيدات الحشرية والـ DDT المركز ويتم القضاء على كل كائنٍ حي داخل أزقة المستشفى بمن فيهم الإرهابيون!!

السلطان: هل من مزيد؟

وزير النفط: قمع عدوك ودام ظلك، أرى أن تعالج المشكلة بشقين اثنين، الأول رفع أسعار السلع على المواطنين، والثاني إحراق المستشفى بجميع من فيه بالوقود السائل!!

السلطان: الرأي الأخير؟

وزير الكهرباء: دام عزك، وثبت ظلك، وقمع عدوك، وخرس صديقك!: أرى والرأي لكم رفع أسعار الكهرباء على المشتركين وصعق المستشفى بمن فيه من المرضى والمراجعين والأطباء (بمليار واطٍ) دفعة واحدة ونقول إن الحادث وقع قضاءً وقدراً!!

السلطان: من أين لنا بمليار واط؟

معالي الوزير: لأجل عيونك نأتي بها!

السلطان: قبل أن نختم هذا الاجتماع، هل من اقتراحٍ آخر ننهي به الجلسة قبل اتخاذ القرار المصيري الذي سيغير حياتنا وإلى الأبد؟ هذا إرهاب عالمي على مستوى عالٍ جداً، يمس النظام العالمي الجديد بشكلٍ مباشرٍ، هل يجرؤ أحد منكم على إغضاب أمريكا لا قدر الله؟

وزير الإعلام: يا سلطاننا الموقر، الأمر أهون مما تتصور، والمسألة لا تحتاج إلى هذا العنف ولا إلى هذه الوسائل البربرية في معالجة المسألة، ولا تنس -دام ظلك- أن أنظار الجميع تتجه صوبنا.

السلطان: أوجز، ماذا ترى؟

وزير الإعلام: المسألة تحتاج إلى علاجٍ جذري وهادئ للغاية، ولا تحتاج إلى هذا العنف والتطرف الغالي في مكافحة الإرهاب!

السلطان: يعني؟ بسرعة ماذا ترى؟؟

وزير الإعلام: قمع عدوك ودام عزك العلاج يتلخص فيما يلي:

أولاً: يتم القضاء على الطفل وعلى بقية الشرذمة الإرهابية المتحصنة معه داخل أحشاء الأم الحامل، لخطورتهم على نظام الحكم، ولتهييجهم العامة على ولي الأمر ودعوتهم الصريحة لقلب نظام الحكم وانتقاص وازدراء النظام العالمي الجديد.

ثانياً: يتم تصفية الأم والأب جسديا، لأنهما كانا سبباً رئيساً في عملية أدلجة الطفل وبقية الشرذمة الإرهابية التي تحصنت معه داخل أحشاء الأم! ولاشك أن عملية الأدلجة تمت عن طريق الأحاديث الحميمية المتبادلة بين الأم والأب، ثم إنني لا أشك أن للأب والأم تاريخاً مجهولاً في الانتماء إلى الحركات الراديكالية

الإرهابية الإسلامية، وأعتقد أن لهما ضلعاً في إحدى الخلايا الحزبية العنقودية، كما لا أشك طرفة عينٍ في أن لهما انتماءً حزبياً خفياً لدى إحدى المراكز الصيفية، يعني: تربية مراكز!! والمركز يعني اللامركزية، يعني: أفراخ حزبية إلخ... المهم ما علينا.

ثالثاً: يتم تصفية الطبيب النفساني؛ لأنه كان شاهداً على حديث الطفل الخطير وليس ببعيدٍ أن يكون ممن تأثر بتلك الجمل الإرهابية التي تلفظ بها الإرهابي الصغير.

رابعاً: ينقل طاقم الولادة من أطباء وطبيبات وممرضين وممرضات إلى إحدى القرى البعيدة عن العمران والتي تفتقر إلى أدنى وأبسط مقومات الحياة، لسوء تصرفهم في إدارة هذه الأزمة.

خامساً: يصدر بيان صحفي عن أعمال المجلس الموقر، ويشار فيها إلى النتائج الملموسة لدى زيارة سلطاننا دام عزه إلى (جزيرة خوريا موريا) كما يشار إلى تبرع سلطاننا الموقر بمبلغ مليون دولار إلى دار الأوبرا العالمية في الجزيرة، وأرى أن تكثف أخبار استقبالات مقام سلطاننا الموقر دام عزه وقمع عدوه.

سادساً: ترفع أسعار الوقود والكهرباء والسلع الاستهلاكية على الشعب الموقر، وتخفض بعد عامٍ إشارةً إلى مكرمةٍ جديدةٍ من لدن سلطاننا الموقر دام ظله.

سابعاً: ينشر خبر مفاده أن مجنوناً اقتحم المستشفى طالباً من الجميع أن يمكنوه من لثم يد سلطاننا المبجل، ثم تبرز في اليوم التالي الصحف والمجلات ووسائل الإعلام بصورة لهذا المجنون وهو يلثم يد سلطاننا المعظم.

أخيراً: يصدر بيان لاحق مفاده، أنه لا صحة لما تناقلته بعض وسائل الإعلام المرجفة العميلة لقوى الشر والعمالة، من أن عصابة إرهابية تحصنت داخل رحم امرأة، وأن هذه الدعايات نوع من الإشاعات المغرضة التي تهدف للنيل من حكمة ومكانة السلطان الموقر دام ظله على صدور العالمين، وحفظه الله ذخراً للوطن والدين، هذا ما أراه والله أعلم.

انفرجت أسارير السلطان وتبسم ابتسامة عريضة ثم قال عطفاً على ما ذكر:

ثامناً: يتم إعفاء معالي وزير الداخلية من منصبه بناء على طلبه الخاص ويعين وزير الإعلام وزيرا للداخلية بالنيابة، رفعت الجلسة والمكافأة مضاعفة يا وزير الإعلام على هذا الرأي السديد، والحكم الفريد.

وزير الإعلام: دام ظلك، ابتسامتك بالدنيا!

اقتيدت الأم والأب إلى جهةٍ مجهولةٍ، ولم يشاهد الطبيب النفسي بعدها، وأشيع عنه أنه هاجر إلى الخارج!!



انتحار

سطو مسلح على منزل ليبرالي مشهور

حمار

تثاءب في كسلٍ شديدٍ فاغراً فاه إلى أقصى حدود اتساع الفم، حتى سمع صوت فرقعة عظام فكيه، هرش رأسه وعبث بأنفه، وأتبع عبثه بأنفه العبث بشاربيه، ثم حك أرنبة أنفه وختم مجمل الحركات بهرش مؤخرته، قلب أوراق بحثه الذي سيلقيه في اليوم التالي داخل إحدى القاعات في فندقٍ من الفنادق الضخمة، والتي ستنظم فيها محاضرة له على شرفه الخاص، من قبل إحدى الجمعيات الأدبية، ألقى نظرة إعجابٍ على عنوان بحثه الموسوم بـ (خطر الأغيلمة المتأسلمين على المجتمع الإنساني وحضارة الكون!!) ثم تبسم في سخريةٍ مبدياً تبرمه واشمئزازه من اللفظة التي أرعبته لثوانٍ معدودة (الإسلام)، والتي اشتق منها لفظة الإسلاميين (إن صح هذا الاشتقاق).

أطفأ مصباح مكتبه الخاص ثم نهض ووقف وتمطى بقوةٍ، أتبع وقوفه بهرش رأسه بيدٍ واحدة ثم بكلتا يديه، عبث بأنفه ثم حك أرنبة أنفه، وهرش رأسه بقوةٍ مرةً أخرى وأتبع هذا الهرش بهرش مؤخرته، توجه تلقاء إحدى الخزانات الخشبية الفاخرة المصنوعة من خشب السنديان، والمبثوثة بكثرةٍ في أرجاء مكتبته الخاصة، فتح أحد أبواب الخزانة الخشبية الضخمة، ثم عبث بباب خزنةٍ أخرى مصنوعة من الفولاذ الحديدي مزودة بأرقامٍ خاصةٍ، حوتها الخزنة الأولى إمعاناً في السرية، وإغراقاً في الحفاظ على الخصوصية!

فتحها بقوةٍ ثم وقف يتأمل محتوياتها في سكونٍ، ما لبث أن ابتسم في ظفرٍ عندما وقعت عيناه على تلك القناني ذات الألوان الحمراء والبيضاء والذهبية، تذكر صديقه الدبلوماسي اليهودي، والذي يعمل في إحدى السفارات الأجنبية، عندما أهداه هذه القناني في إحدى الحفلات التي تقيمها تلك السفارة الغربية، وتدعو إليها نخبة المجتمع وصفوة المسؤولين وبضعة أكاديميين لحاجةٍ في نفس تلك السفارة الغربية.

تناول قنينةً حمراء مشوبةً بلونٍ زهريٍ خفيفٍ اختارها بعنايةٍ فائقةٍ من بين تلك المجموعة، ثم أخرج كأساً من الكريستال الخالص من خزانةٍ خشبيةٍ أخرى، وصب لنفسه كأساً احتسى منها بضع رشفاتٍ بطيئةٍ أتبعها بأخرى سريعةٍ.

ما لبث بعدها أن نطق بكلامٍ غامضٍ فيه شتائم مختلفة، طالت الحياةَ والناسَ والدينَ والذات الإلهية، ثم شتم صديقه اليهودي الغربي، و شتم نفسه وأمه التي أخرجته إلى هذه الحياة، جفنه انشدّ للأعلى ببطء وانزلق، ثم تمطى وتراخى واحتسى مرةً ثانيةً ثم شهق، ترك كأسه الكريستالية فارغة فوق الطاولة، ثم خرج باتجاه غرفة نومه، وقبل أن يلقي بنفسه فوق فراشه الوثير المصنوع من خشب الزان الفاخر هرش ظهره وصدره، ثم قذف بنفسه فوق

فراشه الناعم الوثير، كان سقوطه فوق الفراش أشبه ما يكون بسقوط شجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

غرق في نومه بسرعةٍ فائقةٍ يغبطه عليها من ابتلي بالأرق ومجافاة الكرى، استيقظ في الساعة الثانية بعد منتصف الليل بسرعةٍ وقد حصره البول بفعل العوامل الكيميائية لأم الكبائر، فقفز من فراشه مسرعاً مترنحاً يتخبط في جدران غرفة نومه يمنةً ويسرة، تمكن بعد جهدٍ جهيد من دخول الحمام الملحق بغرفة نومه، ولم يلبث إلا وقتاً قصيراً، خرج بعدها وامتطى صهوة فراشه وغط في نومه العميق مرةً أخرى، أنفاسه المكدودة تتعالى في سيمفونية مزعجةٍ، وعقارب الساعة فوق رأسه تشير إلى الثالثة صباحاً إلا بضع دقائق.

فجأةً دار مقبض باب غرفة النوم برويةٍ وخفةٍ مذهلةٍ، ثم فتح الباب بهدوءٍ وبطءٍ شديدين، دخل منه رجل ملثم يحمل في يده اليمنى مسدساً، صاحبنا يغط في نومه ولم يشعر بدخول اللص، تنحنح اللص وقال بصوتٍ جهوري: يا ساتر، دستور يا أهل الدار! لكن صاحبنا لا يزال غارقاً في أحلامه الوردية وقد صم أذنيه عن سماع أية أصواتٍ خارجيةٍ أو مؤثراتٍ جانبيةٍ، اقترب اللص بهدوءٍ شديد ووقف على رأس صاحبنا ثم قال: يا أخ؟ لا جواب... يا أبو الشباب، يا أستاذ، لا فائدة، يا الطيب، هدوء تام يقطعه صوت الشخير، يا جيفة!!

ابتسم في سخرية وقال: يا أهل الكهف، لم يلق إجابةً، هزه برفقٍ ثم لكزه وأتبع اللكزة بالوكزة، ولكن لا حياة لمن تنادي، هزه بعنفٍ شديدٍ ولم يجد لمجمل هذه الحركات ردة فعلٍ تذكر من قبل النائم، فقال مخاطباً نفسه: سحقاً، يظهر لي أنني داخل مشرحة الأموات بمستشفى المدينة العام؟ (إيش الحظ المشؤوم هذا؟).

خرج من الغرفة وبدأ في استكشاف غرف البيت المختلفة حتى قادته قدماه إلى المطبخ، دخل المطبخ وبدأ يعبث في الأدراج والأرفف المختلفة وهو يدندن بلحن أغنيةٍ شعبيةٍ حتى عثر على كأسٍ بلاستيكية كبيرة، وضع الكأس البلاستيكية أسفل صنبور المياه في المطبخ حتى امتلأ ثم خرج من المطبخ نحو غرفة نوم الدكتور.

دخل الغرفة مرةً أخرى ووقف على رأس الدكتور النائم ثم دلق الكأس دفعةً واحدةً فوق رأس الدكتور الذي استيقظ فزعاً شاحباً يلهث صارخاً: من؟ كيف؟ لماذا؟ إسلامويون، ماضويون، خطر الكون، انهيار الأمة، متفجرات، مونيكا، لكزه اللص مرةً أخرى، نظر إليه الدكتور بتثاقل وقال متمثلا بيت شعرٍ: **شبحاً أرى أم ذاك طيف خيالي؟** أجابه اللص: لا ... بل حرامي... يا روح أمك.

الدكتور: كم الساعة؟؟

الحرامي: الثالثة بعد منتصف الليل.

الدكـتـور: شكراً، ثم همّ بإكمـال نومـه لولا انتـبـاهـه إلى هذا الدخيل فقال له: من أنت؟؟

أجابه اللص: قلت لك: أنا حرامي.

الدكتور: تشرفنا، تصبح على خير، ثم استلقى على المخدة يروم النوم اللذيذ.

قال اللص مخاطباً نفسه: والله حالة، ما هذه المصيبة؟؟ الظاهر أنه (مهوّي) زيادة عن اللزوم؟؟

ثم لكزه بقوةٍ هذه المرة، استيقظ المفكر، ثم استوى جالساً على فراشه وفرك عينيه بقوة، وفجأة استوعب الموقف كله فصرخ قائلاً: كيف تجرؤ على اقتحام منزلي هكذا دون إذنٍ مني؟ هل تعلم أن فعلك هذا جريمة يعاقب عليها القانون؟وهل تعرف من أكون؟؟

الحـرامي: ما حصل لي الشرف هذا أولاً، ثانياً: أعتقد أن لديك دَيْن لا بد من أدائه إلى الأمة!

الدكـتـور: دَيْن؟ دين مـاذا؟ أي دَيْن؟................ أنا لست مديوناً لأحدٍ من الناس، حتى سياراتي ومسكني دفعت ثمن كلٍّ منهما كاشاً وليس تقسيطاً.

الحـــرامي: مـالك، لنا فيـه نحن اللصـوص أوفـر الحظ والنصيب!

الدكتور: (إيش الوقاحة هذه؟) .... تدخل بيتي دون إذنٍ مني، وبعد منتصف الليل، ثم توقظني من نومي اللذيذ وتطلب مني مالي بكل صفاقة وقلة أدب وانعدام ضمير (وثقافة)؟

ضحك اللص بقوةٍ وقال: أنا الذي أتكلم وأنت تستمع وتخرس ثم وضع فوهة المسدس بين عيني المفكر، في هذه اللحظة اصفرّ وجه الدكتور، ثم خرجت منه عبارات مبهمة مبحوحة غير واضحةٍ قائلاً في صوتٍ أقرب ما يكون إلى البكاء والرجاءِ: ماذا تريد؟ اطلب ما تشاء وما تحب، وغادر من هنا بهدوءٍ كما دخلت، وأعدك وعد شرفٍ أنني لن أخبر أحداً من البشر بسطوِك على منزلي.

اللص: هذا شغلي أنا (مو شغلك)، وأنا هنا السيد والزعيم والآمر، أنت تستمع وتنفذ وتخرس، ثم تعال هنا، أنت من تكون؟؟

الدكتور: أنا دكتور مفكر.

اللص: طبيب يعني؟

الدكتور: أنا دكتور أكاديمي.

اللص: أها مدرس في الجامعة يعني؟؟

الدكتور: وكاتب صحفي ولي أطروحات فكرية عديدة.

اللص: أممممم............ والتبن!

ابتلع الدكتور الإهانة على مضضٍ وهو يرمق المسدس الأسود ولا يجرؤ على أن ينبس ببنت شفةٍ.

اللص: هكذا إذن، دكتور أكاديمي مثقف، وكاتب صحفي، في أي صحيفةٍ تكتب؟

الدكتور: نعم يا أخي، وأنا أكتب في صحيفة ال... قاطعه اللص: لا أتابع الصحف، واللهم لا حسد، (بس تصدق يا دكتور)، هناك قاسم مشترك بيني وبينك!!!!!

الدكتور: كيف؟

اللص: أنا لص مثقف وواعٍ ولي فلسفتي الخاصة في هذه الحياة، وهي فلسفة بسيطة مختصرة، تقوم أساساً على مشاركتي للأغنياء فيما رزقهم الله أو فيما سرقوه واختلسوه ونهبوه من أموال الشعوب المسكينة، باختصارٍ شديد أنا مثلي مثل أي فردٍ من صفوة المجتمع، مثل الوزير أو المسؤول أو حتى الحاكم نفسه، غير أن عملي بالليل وعمل الصفوة بالنهار ولا توجد فروقات شخصية أو جوهرية تذكر في هذا (البزنس)، هم يسرقون وينهبون باسم القانون، وأنا أنهب وأسرق ويُطلق عليّ: الخارج على القانون، لكنني أحتفظ لنفسي بميزة الكفاح وحب العمل، لا أحب البهرجة والمواكب الرسمية مثل بقية إخواني من لصوص الوزارات والدوائر الحكومية من أصحاب المعالي والفضيلة والسعادة، (تقدر تقول حرامي

متواضع)، أكره لبس العباءات المنمنمة في عملي، ما خلا اللثام كي لا أعرف، فأنا إنسان متواضع لا أرنو إلى الشهرة، (ممكن تسميني روبن هود القرن الواحد والعشرين).

الدكتور: لكن أموالي هذه من عرق جبيني، من كتاباتي في الصحافة ومؤلفاتي الفريدة، إنني لم أسرق أحداً من قبل.

اللص ساخراً: وماذا تكتب يعني؟

الدكتور: كتاباتي تنصبّ عموما في حل مجمل المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها أبناء وبنات بلدي.

اللص: أممممممممممممم........... طيب، (ممكن تعطينا) نماذج من هذه المشكلات التي تحاول أن تعمل مبضعك الإصلاحي فيها مستميتاً في حلها؟؟

الدكتور: أنا أعمل هذه الأيام على مسارين مهمّين للغاية: حل مشكلات المرأة المظلومة المضطهدة في مجتمعي الإسلاموي المتخلف، وتحذير الأمة من خطر الأغيلمة المتأسلمين على المجتمع الإنساني وحضارة الكون.

اللص: هذه العبارة الأخيرة كبيرة (شوي)، لم يستوعبها عقلي!!

الدكتور: لكل فنٍ رجاله.

اللص يصرخ غاضباً: اخرس يا حيوان، أتسخر مني ومن قلة ثقافتي؟

الدكتور يزدرد لعابه ببطءٍ: العفو العفو حاشاك أستاذي.

اللص يلوي شفته اليسرى ويرسم على تلك الشفة ابتسامةً ساخرةً ويقول: حلوة أستاذي هذه، لا تخاطبني إلا بأستاذي، مفهوم؟

الدكتور: (سم) طال عمرك أستاذي.

اللص يفكر وهو يرمق أحد الأدراج بجانب فراش الدكتور ثم يشير إلى الدكتور بطرف مسدسه أن يفتح الدرج، الدكتور يتصبب عرقا ويقول في رجاءٍ وألمٍ وحرقة: أرجوك هنا أوراق خاصة وعالية السرية، اطلب ما تشاء، لكن اترك هذا الدرج، الأوراق التي يحتويها لا تقدم ولا تؤخر، أوراق أكاديمية خاصة!!!

اللص: أقول: الظاهر أنك ناسٍ أن الذي يحمل سلاحاً هنا هو أنا، وأن الذي يلقي الأوامر هو أنا، وأن الذي يتلقى الأوامر وينفذ دون نقاشٍ هو أنت، افتح الدرج قبل أن أزين جمجمتك القبيحة بطلقةٍ بين عينيك (وبعدين) لا تنسَ كلمة أستاذي.

الدكتور: (يزدرد لعابه بصعوبةٍ بالغة ويفتح الدرج بكل هدوء وروية ويحاول أن يساوم قائلاً): خذ الفلوس، وتوكل على الله........ يا أستاذي.

اللص: اخرس واغلق فمك. ثم يمد يديه إلى داخل الدرج ويعبث بتلك الأوراق بحركةٍ فوضوية وأثناء عبثه وتقليبه للأوراق

المبعثرة تقع عينيه على مجموعة صورٍ شخصيةٍ للدكتور، يتناولها اللص ويقاطعه الدكتور قائلاً في عصيبةٍ ورعب: لو سمحت صور عائلية أمي وزوجتي وأخواتي!! لو سمحت عيب يا أستاذ!

اللص: اخرس وابلع لسانك، يقلب اللص الصور ثم تتسع عيناه في دهشةٍ وذهولٍ واستنكارٍ، أعقبها صفير طويل للغاية وشهقة عنيفة صرخ على إثرها اللص: أوب أوب أوب، اخس اخس اخس اخس اخس، اخس واقطع يا سافل، يا وسخ يا قذر!!! وعامل فيها مفكر ودكتور وأكاديمي، وآخرتها صور إباحية شخصية؟.... لا وصور أطفال بعد؟ سود الله وجهك أيها الدكتور الإباحي، الدكتور في اضطرابٍ شديدٍ يمسح وجهه الذي تفصد عرقا وهو يشعر بالخزي والعار من هذه الفضيحة في هذا الوقت المتأخر من الليل.

اللص يرمق الدكتور ويشيعه بنظرات الاحتقار والازدراء، ثم يقول: ما أدري هل كل مفكري البلد على شاكلتك، هواة جمع وتبادل الصور الإباحية الشخصية؟ عز الله البلد راحت، قم قدامي يا حيوان يا خسيس، ربما كنت أنا حرامي أموال أسطو على أموالكم الخاصة، لكنك حرامي أعراض، وسطوك على الأعراض والفكر أقبح من أية عملية سطوٍ أخرى، ثم قام بجره بقوةٍ من ياقة قميصه وهو يقول: إلى مكتبك الخاص أيها الخسيس الإباحي.

يتعثر الدكتور ويمشي الهوينى مكللاً بالخزي والعار، ويدخل إلى غرفة المكتبة وفي أعقابه اللص مصوباً مسدسه إلى مؤخرة رأسه، في داخل المكتبة يصفعه اللص على قفاه صفعاتٍ عدة ويأمره أن يفتح أبواب الخزانات المغلقة، يقوم الدكتور بفتح الأبواب واللص يبعثر الأوراق والملفات في فوضى عارمة حتى وصل إلى الخزانة الفاخرة المصنوعة من خشب السنديان وأمره أن يفتحها، وقعت عين اللص على الخزنة الحديدية وسأل الدكتور عن محتويات هذه الخزنة؟

الدكتور: عقود وأوراق خاصة وبضعة أموال ومشروباتٍ روحية!!

اللص: تقصد خمرة؟؟

الدكتور: لا هي اسمها مشروبات روحية.

اللص: اسمها خمرة يا حيوان، والله حالتك حالة، سكير ومنحرف أخلاقياً ومريض نفسياً، أكيد أنّ أحد العصرانيين تافل في فمك، افتح الخزنة يا إباحي، وناولني ما فيها من أموالٍ، امتثل الدكتور لأوامر اللص صاغراً، فتح الخزنة وناوله تلك الأموال مطرقاً رأسه صامتاً، يمم اللص وجهه إلى مكتب الدكتور، وفتح الأدراج وبعثر الأوراق ثم وقع بصره على ثلاثة أشرطة فيديو وقال: أكيد أفلام من جنس الصور؟

لم ينبس الدكتور ببنت شفه.

اللص: شكلك البطل فيها!؟

... لا جواب.

أثناء تقليب اللص للأدراج وقع بصره على البحث الذي أعده الدكتور كي يلقيه في المحاضرة التي ستقام على شرفه، تناول اللص البحث من فوق المكتب وطواه ثم وضعه مع الأموال المسروقة، قال الدكتور مخاطباً اللص: مستقبلي على المحك، غداً صباحاً لا بد أن ألقي هذا البحث في ندوةٍ ثقافية يحضرها نخبة المجتمع.

ضحك اللص ساخرا ثم قال: عسى ما فيه تبادل صور في الندوة بين النخب الثقافية التي ستجتمع معها؟ البحث هذا سأتسلى به الليلة، فأنا وإن كنت لصاً محترفاً لكنني مثقف للغاية، أهوى القراءة لشكسبير وهتشكوك على وجه الخصوص حتى أرعب لصوص الأعراض من أمثالك، كما أنني أحب أن أشغل وقتي بها ولا أحب شغل وقتي بجمع الصور الإباحية مثل بعض الناس الأكاديميين يا دكتور.

الدكتور: طيب يا أخي صوّر البحث وخذ نسخة وأعطني نسخة، مستقبلي على المحك.

اللص: لن أعطيك نسخةً من هذا البحث، (تقدر تقول نذالة، وأنا أصلاً أبي أخرب بيتك يا منحرف السلوك، إن شاء الله يكون

مستقبلك على المحك ولا على المسّاحة) هذا أمر لا يعنيني، ثم قال للدكتور: سأخرج من هنا الآن، لا تتحرك وسآخذ صورك الإباحية معي كي أبتزك بها مستقبلاً، أو إذا حاولت أن تخاطب رجال الأمن أو تبلغ أحداً بهذه السرقة، غادر اللص مسرعاً الغرفة وتوارى عن الأنظار في خفةٍ مدهشة.

بقي الدكتور واقفاً مكانه مندهشا مذهولاً يتصبب عرقاً من هذه الليلة الليلاء، علا صوت المؤذن فجأةً من مسجدٍ مجاور فانتفض الدكتور في رعبٍ شديد، وأثناء انتفاضته خرج منه صوت منكر، ثم خاطب نفسه: (إيش التخلف هذا) لا أدري متى تقوم الوزارة بمنع استعمال مكبرات الصوت في الدعوة إلى الصلاة؟ (يعني لازم مايكرفون؟؟) إزعاج للناس وتخلف ورجعية كل هذا من تحت رأس (الأغيلمة الإسلامويين المأزومين) سكت قليلاً، وطال سكوته وتفكيره، وفجأةً ارتسمت على محياه أشلاء ابتسامةٍ باهتةٍ، ما لبثت أن اتسعت قليلا لتغمر محيّاه الكئيب، فتح فمه في ذهولٍ مريب، ثم انتفض صارخاً مبتهجا في جنون: وجدتها، وجدتها، وجدتها، وجدتها، وجدتها.

ستكون محاضرتي غداً عن خطورة دور المساجد في تفريخ وإخراج (الأغيلمة الإسلامويين الإرهابيين، وتأثير المساجد المباشر على مركزية الكون وحضارة البشر وأساسيات الحكم والنظام

العالمي الجديد) اتجه نحو الخزانة الحديدية وتناول قنينة حمراء كرعها دفعةً واحدة، ثم قهقه بصوتٍ منكر، هرش مؤخرته ثم أخرج ورقةً وبدأ يكتب.

انتحار

فلسفة متسول

حمار

نظرات حائرة تستجدي قائدي المركبات تؤازرها يد مكورة كالمغرفة، أجاد تكويرها هذه المرة بطريقةٍ احترافيةٍ يغبط عليها، كان يمدها أمام السائقين قائلاً بصوته العذب الحزين: ساعدوني ساعدكم الله، ويتبع صوته الكسير بحركةٍ رتيبةٍ يخفض بها يده ويرفعها، كأنه يستحث السائق بصوتٍ لا يسمع، أخرجْ ما في جيوبك من أوراق النقد وبقايا الصرف التي أتخمت محفظتك الجلدية حتى أوشكت على تمزيق أطرافها!

وقد يتجرأ حيناً إذا لمس من السائق تجاهلاً متعمداً لصوته ويده المكورة، فيقحم مغرفته (يده) داخل النافذة حتى يصل بها إلى ذقن السائق في وقاحةٍ لا مثيل لها، وإقدامٍ جنونيٍ يحسد عليه، وكم نهرته الأصوات، وهددته الصرخات، وهوت على خده الصفعات، لكنه لم يعد يبالي أو يحس، لقد أصيب بالخدر التام، وأصبح بليد الحس لكل ضروب الإهانات والشتائم ..... والتوبيخ، كانت له فلسفته الخاصة في السؤال والاستجداء، كان يستجدي القوم وهو يسخر منهم في قرارة نفسه، كان متسولاً فريداً.

يرمق الضوء الأخضر حتى يعلوه اللون الأصفر، فيقفز إلى وسط الشارع بيده الشبيهة بالمغرفة قبل أن يومض اللون الأحمر آمراً جميع المركبات بالوقوف في تلقائيةٍ رتيبةٍ مملةٍ، وقد كاد أن يفقد حياته أكثر من مرةٍ لولا ستر الله تعالى ورحمته.

لديه نصف دقيقةٍ فقط اكتسبها بالممارسة والخبرة لاقتناص الفرص أمام هذه الإشارة الكامنة عند فندق الشيراتون بمدينة الرياض، نصف دقيقةٍ فقط، وقد علمته الحياة أن لا يستجدي أصحاب المركبات الفخمة، فهؤلاء قد طمس الله على قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة إلا من رحم الله، لكنه كان يتلذذ بالسخرية منهم وإيهامهم أنه سيمد إليهم يده المكورة، فكان بعضهم يسارع برفع نافذته عالياً دفعاً لإزعاج هذا المتوسل وإلحاحه الغريب.

كانت عينه المدربة كالرادار تلتقط أدنى حركةٍ يقوم بها كتف السائق، ليغير المتسول مساره إلى مركبةٍ أخرى ساخراً ومستهزئاً بصاحب الكتف المتحرك!! كانت له فلسفته الخاصة في إيهام نفسه أنه أذل السائقين وعذبهم! كان يقول في نفسه: لقد أوهمته وعكّرت صفو يومه، ولم أمد إليه يدي، جشّم نفسه عناء الحركة، وأسبغت عليه وابلاً من التوتر!! سحقاً لك!! وكان يتبع إذلاله لهم بشتيمةٍ يودعها نفسه، وقد يخنقه اليأس وتدفعه الوقاحة أحياناً إلى أن ييمم وجهه شطر إحدى المركبات الفخمة، ليطرق الزجاج على صاحبها الذي يرمقه في ازدراء واحتقارٍ أو يتقدم بمركبته قليلاً محاولاً التملص من إزعاجه، متجاهلاً نداء توسلاته، غير أن صاحبنا لا ييأس، ويصر على تعكير جو السائق العام، ويحدث أن يفتح السائق النافذة أحياناً فيدور هذا الحوار بينهما:

السائق: الله يعطيك.

المتوسل: ساعدني الله يساعدك.

السائق: ما تفهم الله يعطيك!؟

المتوسل: اعطني من مال الله، لا من مال أبيك ولا أمك!

السائق: (والله شين وقوي عين)، وقح وقليل الأدب.

المتوسل: أنا شحاذ، لكن أنت (وش تصير!؟) مجرد حرامي!! يحاول السائق صفعه أو ضربه، فيتفادى المتسول ضربته برشاقةٍ يحسد عليها، ليقف على الرصيف ساخراً منه، وهكذا.

وقد تغلبه الحسرة حيناً ويخنقه اليأس ويستبد به الألم، فتغرق عينيه دموع حقيقية في حزنٍ صادق على نفسه وحاله، كانت نفسه تتكسر إذا هدّها التعب، وأضناها الجوع، للتهاوى تحت زخات الألم المتنوع، ألم الفقر، وألم الذل، وألم التجاهل وموت قلوب السائقين!

ويعتصر قلبه حزناً، وتخنقه العبرات إذا رأى مركبةً (فان)عائليةً تضم رب الأسرة مع أطفاله وزوجته، أو إذا وقف على مركبةٍ تضم في جوفها ذوات الخدور من القوارير مع سائقهن الخاص، كان يقف عليهن قائلاً بصوته الشبيه بمواء قطةٍ جائعةٍ في ليلٍ شديد البرد: يا قوارير رفقاً بنا نحن معاشر الشحاذين! فنحن

فقـراء جـوعى، قلوبنا حـزينة، وأرواحنـا جـريحـة، ونفـوسنا كسـيـرة، نقـصـــر طرفنـا، ونغض أصــواتنـا، ونتــجــرع الذل والقــهــر والمرارة والحـرمان، نحن الفقراء لا أبا لكم أيها الأغنياء!!

كان يصطدم كثيراً ببعض السفهاء وكان يجد لذته القصوى في التلاسن مـعهم، والسخـرية منهم والتلاعب بهم أو أذيتهم، فذات يومٍ قـال له عـابث: أنتم أجـانب خـربتم اقـتـصـاد البلد، ونهـبـتم ثروات الوطن وشوهتم الشارع!! كم تكسب في اليوم ها، أكيد أكثر مني!؟

أجـابه صـاحبـنا بسخـريتـه اللاذعة: أنا مـواطن يا حيـوان، وأنا وطني حتى النخـاع، ولا أدل على وطنيتي من استجـابتي الفورية لنداء مـعـالي وزيـر العـمل بسـعْوَدة جـميع وظائف القطاع العـام بما فيهـا قطاع الشحـاذة، إنني أتمثل المقولة الخـالـدة لمعاليـه: كن وطنيـاً ووظف مـواطنـاً، لقــد وطّنـت الشــحــاذة يا أســتـــاذ، وهـذه بطـاقــتي الوطنية يا عريض القفا!

قـاطعـه العـابث: طيب، (رح اشـتـغل زيّ الأوادم) واليـد العليـا خـيـر من اليـد السـفلى، ثم ألـم تسـمـع بالصندوق الـوطني لمكافـحـة الفقـر!؟ ضحك المتسول قليلاً: اشتغل!! أين وكيف، ثم إنني لم أسمع من قـبل بصندوقٍ وطنيٍ لمكافـحـة الـفـقـر ولا صـنـدوقٌ عـالميٌ حـتى، سـمعت بمكتب مكافحـة الجـريمة والمجـرمين مـن أمثـالك .... فقط! هل سمعت أنت شيئاً عن هذا الصندوق!؟

قطع الضوء الأخضر نقاشهما المحتد، وتحرك العابث بعد خنق دواسة الوقود بقوةٍ ليحدث صريراً مزعجاً حاول أن يداري من خلاله حجج المتسول التي انهالت على رأسه، كان العابث يحدث نفسه: لقد أفحمني هذا المتشرد، ولا بدّ من ردّ الصاع صاعين، لم يتمالك نفسه وهو يقوم بدورانٍ عكسيٍ غاضب ليكيل مختلف الشتائم في سره لذلك المتسول سليط اللسان، عاد مرةً أخرى إلى المكان نفسه وتمهل قليلاً ليتوافق وقوفه مع سطوع الضوء الأحمر، توقفت مركبته بجوار المتسول، وأخرج السائق رأسه من المركبة ليقول للمتسول: (تراك إنسان كسلان) وقليل الأدب، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "**الذي يسأل الناس تكثراً إنما يسألهم جمر جهنم فليستقل منه أو ليكثر**"، أو كما قال عليه الصلاة والسلام!

أجابه المتسول: ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿**فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر**﴾؟ وأتبع حجته برشقةٍ من قارورة فارغةٍ من مياه الصحة، أصابت العابث في وجهه، ليطلق المتسول ساقيه للريح، ويداري العابث فضوله وخزيه بخنق دواسة الوقود مرةً أخرى، وهذه المرة إلى جهةٍ مجهولةٍ!

تقاسمت إشارات الوطن هموم المواطن، فعند رأس كل إشارةٍ، وفي قلب كل مدينةٍ وعند أطرافها نراهم رأي العين، يقول أحدهم:

أنا من نجدٍ، ويقول الآخر: أنا من الشرقية، ويقول الثالث: أنا من الغربية، ويقول الرابع: أنا من الشمال، ليجيبه صدى شقيقه: وأنا من قلب الجنوب، وقد يحدث أن يصرخ الجميع بصوتٍ واحدٍ مزعجٍ للغاية: نحن من مملكة الإنسانية!

انتحار

مأزق سياسي في الصف الثالث الابتدائي

حمار

إنها تمام السابعة صباحاً، موعد دخول الأستاذ أيمن إلى صفه الدراسي في مدرسة الأجيال الابتدائية، كان منضبطاً في كل شؤون حياته، حتى طريقة تأبطه لكتابيه الأثيرين لم تتغير منذ عقدٍ كاملٍ، كان الكتاب الأول مخصصاً للقراءة، أما الكتاب الثاني فكان على شكل دفترٍ أزرق اللون صمم خصيصاً للمتابعة ورصد أعمال السنة، كان الأستاذ أيمن يرسم على شفتيه ابتسامةً عبثيةً لا معنى لها، لكنها ابتسامة على أية حالٍ، تضيف إلى وجهه الأسمر الحزين تعبيراً إنسانياً نبيلاً، هكذا حدثته نفسه الأمارة بالسوء.

المعلم: صباح الخير يا شُطّار.

التلاميذ في صوتٍ واحدٍ: صباح الخير يا أستاذ.

المعلم: سنتحدث في هذا اليوم عن موضوع إنشاءٍ جديدٍ يتعلق بجوانب حياتكم المستقبلية إن شاء الله تعالى، ومادة الإنشاء يا أولادي من المواد المهمة للغاية، حيث تساعد التلميذ منكم على نقل أفكاره الصامتة، ورؤاه التخيلية إلى واقع حياته المعاصرة، وذلك عبر صفصفة الكلمات، وزخرفة القول بلسانٍ عربيٍ مبين، أحد منكم فهم هاتين الجملتين؟!؟

ترمقه عيون الأطفال في صمتٍ وفضولٍ شديدين، ماخلا تلميذاً واحداً يرفع يده اليمنى في حماسةٍ شديدةٍ، أشار إليه المعلم في حماسةٍ لا تقل عن حماسة ذلك التلميذ: نعم يا خالد، قال

خالد: (أستاذ أبي الحمام)، لم يستطع المعلم أن يخفي خيبة أمله وامتعاضه الشديد، وهو يشير إلى خالدٍ بيديه أن اخرج.

أكمل المعلم قائلاً: سأوضح لكم أكثر، هبْ أن إنساناً .... لا، لا ما يصلح، هؤلاء لا يفهمون الفصحى، طيب، (الحين يا شطار إذا كان الواحد منكم جالساً في بيته أو في فصله الدراسي، مو ممكن يتخيل أنه لما يكبر ويصير رجال بشنبات ولحية بيشتغل طبيب أو ضابط أو طيار أو مهندس أو مذيع؟).

التلاميذ بأصواتهم المختلفة: نعم نعم صحيح يا أستاذ.

المعلم: جميل جداً، رائع رائع، هذا هو المطلوب منكم، أطلقوا العنان لخيالاتكم ورؤاكم المستقبلية، تحدثوا عنها بقوةٍ أمام الجميع، لا تخجلوا من أحلامكم، ويوم الثلاثاء -إن شاء الله- أريد أن أرى إنجازاتكم حول هذا الفرض المدرسي المقرر عليكم، بقي أن تعرفوا أن عنوان هذا الموضـــوع هو (تحـــدث عن المهنة التي ترغب في ممارستها مستقبلاً) ولكن قبل ذلك، يجب على الجميع في هذا الصف أن يقوموا بالحديث مشافهةً عن المهن أو الوظائف التي يتمنون مزاولتها في المستقبل -إن شاء الله- أمام زملائهم، حتى ننمي فيكم حب الخطابة، وجودة الإلقاء وكسر الحاجز النفسي للحديث أمام الآخرين، قم يا أحمد وتحدث عن أمنيتك حول مهنة المســتقبل.

ينهض أحمد من على مقعده، ويخرج من مكان جلوسه في الصف الثاني من الفصل، ويستقبل إخوانه بوجهه الذي تورد في خجلٍ، تتزاحم الأفكار في ذهنه وتتضارب الخواطر في رأسه الصغير، وبشيءٍ من الخجل والاضطراب والتردد يقول بلغته الركيكة العامية: (بكره، إذا كبرت أبصير دكتور علشان أساعد الناس وأدقهم إبرة، وأسوي لهم عمليات جراحية، وأكشف عليهم بالسماعة وأسمع ضربات قلوبهم وهي تقول دق دق دق دق دق)، يقاطعه المعلم: هذه مهنة إنسانية رائعة ونبيلة يا بني، أنت طالب مجتهد تفيض حناناً ورقةً وعطفاً، ولكنّ هناك مشكلةً يا أحمد!!

أحمد: (وش هي يا أستاذ؟).

المعلم: لا بد من مجموعٍ كبير في المرحلة الثانوية إضافةً إلى (الواسطة).

يقاطعه أحمد: وما هي (الواسطة) يا أستاذ؟

المعلم: (الواسطة) عبارة عن نفقٍ أو جسرٍ معلقٍ تعبر من خلاله إلى الضفة الأخرى، بعد أن تبيع ذمتك ودينك وبقايا كرامتك أمام قاطعي الأحلام، وائدي الآمال من مديري شؤون الطلاب في مختلف الكليات العلمية، بمعنى أن غالبية الأحلام تتبخر عند أبواب الكلية، وإذا ما حدث وعبرت بوابة الكلية المخيفة، فهناك عقبة أخرى بعد التخرج، تتمثل في البحث عن عملٍ ملائمٍ ومناسبٍ

لمؤهلك العلمي، (وهات واسطات وشفاعات وحب كتوف وخشوم) ولعق التراب الذي يمشي فوقه سعادته، لأجل القبول ومزاولة العمل داخل مستشفىً حكوميٍّ بمهنة طبيبٍ عام.

أحمد: لم أفهم يا أستاذ.

المعلم: يقول لنفسه (جعلك ما تفهم)، اجلس يا بني، (شاطر).

يشير المعلم إلى تلميذٍ آخر، أنت يا سعود، ينهض سعود من فوق مقعده الخشبي في صعوبةٍ شديدةٍ حيث يعاني من البدانة المفرطة، فيقول له المعلم: عبّر في مكانك يا سعود، لا تتكلف القدوم إلى هنا.

سعود: إخواني الطلاب، والدي المعلم أيمن، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عندما أكبر سأصبح ضابطاً في الجيش والشرطة والطيران....

يقاطعه المعلم: اختر قطاعاً عسكرياً واحداً يا سعود، الدعوة ما هي سلطة.

سعود: عندما أكبر سأصبح ضابطاً عسكرياً في الشرطة، وأركب الدورية وأشغل السفتي الونان..

المعلم: السفتي غيرُ الونان يا بني!!

سعود: أشغل الونان، وأطارد الحرامية واللصوص، وأحمي وطني وأهلي وجيراني من الأعداء الحرامية، الذين يسرقون الكفرات والسيارات والجوالات وشنط الحريم و(يطقون) الأطفال!!

يقاطعه المعلم: المهم أنك تمسك الحرامية من دون تفاصيل، الحرامي حرامي ولا يوجد تخصص محدد في مهنة اللصوص يا ولدي، ولكن يا سعود، كلية الشرطة تحتاج إلى (واسطةٍ) شديدةٍ للغاية، يجب أن تكون ابن مسؤولٍ كبيرٍ في الدولة، أو ابن مديرٍ متنفذٍ، سعود يفتح فمه صامتاً، والمعلم يكمل حديثه: ثم إن لياقتك البدنية يا بني وصلت إلى حالةٍ حرجةٍ للغاية، من السمنة المفرطة، والترهل المثير، واكتناز اللحم والشحم، مع أن زمان الطفرة ولى، لكنني أعتقد أن الفضل كل الفضل لعلب المشروبات الغازية وأكياس الشيبسي، اجلس يا بني، (شاطر).

سعود: ولكن يا أستاذ!

المعلم: اجلس يا سعود، وقم يا مدحت، أخبرنا عن أحلامك وطموحاتك.

مدحت: (أيوة يا أستاز، أنا إن شاء الله بكرة لما أبقى راجل حبقى وكيل نيابة آد الدنيا، وبعد سنتين حبقى مستشار وبعدين آضي في المحكمة العليا بالجيزة، وبص أنا حأوول لحضرتك حاجة بعد كده إن شاء الله، الريس بتعنا بتاع الجمهورية يعني، الله يخليه حيحطني

وزير للعدل ويمكن رئيس وزراء، آه ما هو علشان بابا عضو في المؤتمر الوطني بدرجةٍ عالية، وابن عمي عاطف بيعرف.....).

المعلم: طيب، طيب (شاطر)، اجلس مكانك.

مدحت: (بس أنا ماخلصتش يا أستاز! أنا عاوز ألعب في النادي الأهلي كمان، وأبقى زي حسام حسن وميدو والعملاق محمود الخطيب!!).

المعلم: تعال يا نايف عند السبورة وقم بالتعبير عن أحلامك المستقبلية، واجلس يا مدحت وإلا صفعتك على قفاك.

نايف: يبتسم في نشاطٍ: عندما أكبر -إن شاء الله- وأصبح رجلاً سأكون معلماً أربي الأجيال وأضرب الطلاب اللعابين، كما قال شوقي: قم.....

المعلم مقاطعاً: اجلس يا ثور مكانك، (قال تربي الأجيال)، أنت بحاجةٍ إلى تربيةٍ وإلى عقلٍ جديدٍ، أحد يختار مهنة الشؤم هذه إلا من طمس الله على عقله!!؟.

المعلم: قم يا تركي واقفاً حتى أراك، وعبّر في مكانك عن مستقبلك.

تركي: في المستقبل سأكبر وأصبح وكيل وزارةٍ.

المعلم: يقاطعه فوراً: وكيل الوزارة لا يعين إلا بأمرٍ من ولاة الأمر يا تركي.

تركي: أبي من وجهاء المجتمع............

المعلم: طيب، طيب، اجلس.

أحد التلاميذ يرفع يده اليمنى عالياً وهو يقول: أستاذ لو سمحت، لو تكرمت!

المعلم: (وش فيه يا سلمان؟).

سلمان: ألا ترى أيها الأستاذ أنك وأدت أحلامنا في مهدها؟

المعلم: وأدت، ومهدها، (من فين تعلمت هذه الكلمات يا ولد؟).

سلمان: والدي عضو في المجمع اللغوي في القاهرة، وهو يحرص أشد الحرص على أن يتحدث معنا باللغة العربية الفصيحة للحفاظ على السليقة العربية الخالصة داخل المنزل.

المعلم: الله الله، أقول يا سلمان:

سلمان: نعم يا أستاذ.

المعلم: اجلس يا.............

سلمان: الشتم ممنوع بأمر من معالي الوزير.

المعلم: (رح عند معالي الوزير واشتكيني).

المعلم: أيها التلاميذ النجباء: يا من رزئتم في مستقبلكم على يد طغمةٍ منتفعةٍ لا تأبه لشأن هذا الوطن، بقدر ما تأبه لنفسها،

ليس من حقكم أن تنعموا بأحلامكم، لأن أحلامكم ليست ملكاً لكم، أحلامكم تخضع للتفتيش والتدقيق والتمحيص، ومن ثم المصادرة من قبل مقص الرقيب، أيها التلاميذ النجباء: عندما كنا صغاراً كنا نقرأ في كتاب المطالعة (قال حسن حصان حصان - فيل، طبل، بوق) كنا نحفظ: "يا إخوتي جاء المطر، هيا اهربوا تحت الشجر، واستنشقوا عطر الزهر"، وكنا نشدو: "صاح الديك فوق السور، كوكو كوكو بان النور، اصحوا اصحوا يا أطفال"، كانت أحلامنا جميلة للغاية، كنا نحلم بالأزهار والأشجار والأطيار، كنا نعاني من الطفرة في كل شيءٍ، حتى في أحلامنا الحلوة الرائعة الجميلة، كان المستقبل مشرقاً؛ لأننا كنا صغاراً أبرياء.

ودارت عجلة الزمن بسرعةٍ مخيفةٍ يا أولادي، فكبرنا ثم كبرنا وكبرت أحلامنا وآمالنا، فأصبحنا نحلم بفاتورةٍ مخفضةٍ للطاقة الكهربائية، نحلم بالخلاص من سداد أقساط السيارة والفرن والتكييف والمكواة والثلاجة، بإرجاع خط الهاتف المفصول منذ أشهرٍ لقلة ذات اليد.

نحلم بمقابلة الطبيب في مستشفىً حكوميٍّ بعد موعدٍ يمتد إلى شهرين أو ثلاثةٍ بدلاً من تسعة أشهرٍ أو سنةٍ كاملةٍ، بالهدوء والأمن المفقود، نحلم بالحرية، نعم، نحلم بالحرية، أليس من حقنا أن نحلم بالحرية؟ نحلم بجيفةٍ كانت تسمى سابقاً كرامة، نحلم

بالشرف، بضميرٍ مستيقظٍ، برقبةٍ ممدودةٍ إلى أعلى بمنتهى العزة والسؤدد لا تنالها صفعات الظالم، نحلم بالعدالة، نحلم بالنصر الذي قرأناه في كتب التاريخ والذي يمثل لبعضنا أسطورةً خرافيةً لن تتحقق لكثرة الهزائم المتلاحقة لولا إيماننا العميق بالله.

هذه هي أحلامنا نحن الكبار في عصر القهر.

ران صمت ثقيل على الصف، قطعه المعلم قائلاً في حزمٍ: والآن أيها العفاريت الصغار سيكون موضوع الإنشاء (عن أسبوع الشجرة) بدلاً من موضوع (تحدث عن المهنة التي ترغب في ممارستها مستقبلاً) قم يا سامي وتحدث عن الشجرة........

سامي: الشجرة هي........ ودار الزمان.

انتحار

نفث في وجهي دخان سيجارته ثم شتمني

حمار

أجهد نفسه كثيراً وهو يعتصر البقية الباقية من سيجارته بإصبعيه، ليمتص خلاصة التبغ المشبع بالقطران والنيكوتين، وكانت النتيجة النهائية لهذا الامتصاص النهم سحابة خانقة من أخبث الروائح الصناعية التي اخترعها الإنسان، ليقتل بها نفسه والمحيطين به عبر ما يعرف بالتدخين السلبي، تنهد بعد أن سحق عقب هذا العود القاتل في كوبٍ بلاستيكي ليقول لي بمرارةٍ: إنهم أوغاد يا سيدي، إنهم أوغاد.

قلت: من؟

قال لي: الأمريكان.

سألته: ولم؟

أجابني: لم يكتفوا بقتلي وقتل الشعوب المطحونة بهذه السجائر اللعينة، بل قدموا إلينا بجيوشهم وعتادهم ليمرغوا كرامة الأمة في الأرض، ويقصفوا أعمار شوارب الرجال بالحصار الاقتصادي الخانق، والتلويح بعصا العقوبات الاقتصادية، إنهم كالوباء الذي لا يخلف إلا الفناء، إنهم إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلةً، أفغانستان تشهد، والعراق يبكي، والشام يترقب، ومصر تستجدي، وباكستان تبيع وتلعق، تنهد في قسوةٍ بالغةٍ وأخرج سيجارةً أخرى ليشعلها وينفث دخانها في الهواء كقاطرةٍ بخاريةٍ قديمةٍ، هدها السير، وأثخنها العمل، ثم قال: إنهم أوغاد يا سيدي، إنهم أوغاد.

قلت: الأمريكان؟

أجاب: بل البريطان!!

قلت: تقصد البريطانيّين؟

قال: بل البريطان!

قلت: لماذا قلت: البريطان!؟

أجاب: حتى يستقيم سجعها مع الأمريكان!! البريطان يا سيدي شعب سيئ للغاية، لا يملكون من مقومات الحياة إلا عجرفةً سمجةً، وبروداً قاتلاً، وفضولاً ثقيلاً أوردهم المهالك، ما الذي أتى بهم إلى بلاد الأفغان والعراق؟ ولماذا يحرصون على دس أنوفهم في كل قضيةٍ عربيةٍ أو إسلاميةٍ؟ بدءاً ببيع فلسطين، وانتهاء بتزويد طائرات الأمريكان بالوقود لقصف خليج سرت الليبي!! يا للأوغاد، يا للأوغاد.

قلت: البريطانيون؟ أقصد البريطان؟

قال: بل اليابانيون!

قاطعته باستنكارٍ: اليابانيون؟

أجابني: نعم، اليابان، رأس الشيطان الأصفر، مخلوقات طفيلية، مسخ الله أبصارهم وقاماتهم، حرقوا الصين، وقصفوا الفلبين، وداسوا كرامة سنغافورة، واحتلوا البحار، وأحرقوا الأشجار

في إندونيسيا، بل وقصفوا أمريكا في عقر دارها، وما هي إلا صفعة أمريكية في هيروشيما، ولكمة في نجازاكي، ليدوروا بعدها في فلك أمريكا وقد أمدهم الله في طغيانهم يعمهون، لكنها العمالة التي لا مبرر لها، إيه لو كان آخر الساموراي على قيد الحياة، لما تجرأ الوغد كويزومي على أن ينصب خيمته في العراق، ليقول في وقاحةٍ: لن نسحب قواتنا إلا إذا سحب البريطان قواتهم، منظومة أوغادٍ متكاملة.

سألته: وماذا عن الإسرائيليين؟

قال: قردة خاسئون، حملت بهم أمريكا سفاحاً، والمجرم الذي أحبلها بلفور الشؤم، والقابلة التي باشرت عملية الولادة كانت خائنة عربيةً، تدين للغرب بالعمالة، إنهم أوغاد أوغاد.

قلت: العرب؟

أجاب: بل البلاشفة الروس، لقد ارتكبوا الموبقات في الشيشان وطاجيكستان، هجَّر عظيمهم جوزيف ستالين إخواننا من شبه جزيرة القرم إلى قلب سيبيريا، وقتل منا أكثر من عشرين مليوناً، وحول مساجدنا هناك إلى إسطبلاتٍ وخماراتٍ، يا للأوغاد، يا للأوغاد، يا للأوغاد.

قلت: الروس؟

قال: بل كتّاب صحفنا من المرتزقة، الذين يقبضون بالدينار والدرهم والدولار والتومان الإيراني والتكا البنغالية، إنهم......
قاطعه صوت مساعده: سيدي، جاءنا وفد غربي من الأمريكان والبريطانيين، و(قروب) سياحي متكامل من اليابانيين والإسرائيليين والروس!! لقد اشتعل السوق يا سيدي.

تنهد قليلاً، ثم سحب نفساً عميقاً جداً جداً جداً جداً من سيجارته، لينفث سمها في وجهي، أصابتني نوبة سعالٍ قاتلةٍ من جراء تصرفه غير المهذب ليقول لي: إننا أوغاد يا سيدي إننا أوغاد!

غالبتُ نوبة سعالي القاتلة وأنا أسأله مستنكراً: لماذا؟

أجابني: لأن الله تعالى أحل البيع وحرم الربا، والجوع كافر (ومش متربي)، والحياة أقوى، والرزق يحب الخفة، ثم داس على سيجارته، ورفع عقيرته، تفضلوا، تفضلوا، حياكم الله، رحب بهم بإنجليزيته الركيكة، (وِيلْكَمْ ويلكم ويلكم، مرهباً مرهباً مرهباً، ألف مرهبٍ بعيال العم، من يهودٍ ونصارى ووثنيين وعيال الكلب!! ترى المغاسل وراكم) أقصد: أجود أنواع التحف (بيهايِّند يو) خلفكم تماماً، شرفتم محلي وعمرتم داري، الله يعمر بيتكم، ويخرب بيت (اللي يبي) يخرب بيتكم من الإسلامويين وبني صحوةٍ!!

سألته في استنكارٍ: والأمة يا أستاذ!؟ والضمير؟ والقضية!؟

أجابني: ولكن الدولار يتحدث.



وظيفة تحت تهديد السلاح!

هذه بضعة خطاباتٍ مجهولة المصدر، وجدت في سلة مهملات مديرٍ مسؤولٍ عن مكافحة البطالة، في إحدى الوزارات الحكومية.

الخطاب الأول:

يقول فيه الكاتب: سعادة مدير عام شؤون الموظفين - حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...... أرفع لسعادتكم خطابي هذا راغباً فيه ومن خلاله وبه وبوساطته! الالتحاق بوظيفةٍ إداريةٍ لدى وزارتكم الموقرة، علماً بأنني أحمل شهادة الثانوية العامة، وأحمل شهادةً رديفةً ومعاونةً في معالجة النصوص (word) من معهد الغد المشرق للتدريب على طباعة الكمبيوتر.

آمل توظيفي لديكم ولكم جزيل الشكر.

المدير يبتسم في سخريةٍ، ويلقي بالورقة في سلة المهملات، مخاطباً نفسه: (الرجّال يحسب نفسه في عام ١٤٠٠هـ).

الخطاب الثاني:

يقول فيه صاحبه: سعادة مدير عام شؤون الموظفين بوزارة مكافحة العطالة ونشر البطالة - حفظه الله ورعاه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

أنا فـلان بن فـلان آل فـلانـي أحـمل شـهـادة البكالـوريوس في التـجـارة من جامـعـة عين شـمس وأحمل شـهـادة الماجسـتيـر في إدارة الأعمـال من جامـعـة (متشيجـن)، وشـهـادة الدكـتـوراة فـي تـنمـيـة الموارد من جـامـعـة هـارفـارد، كـمـا أحـيطـكـم علمـاً بأنـنـي عـمـلـت فـي الولايات المتـحـدة الأمـريكـيـة لمدة خـمـس سـنـوات فـي مـجـال تـخـصـصـي، ولدي شهادات مختلفة من عشـرات الشـركات الأمـريكية، تـثـنـي على جـهـودي وإخـلاصـي وتـفـانيّ فـي العـمـل.

لذا أرغـب منكم تمكـيـنـي من وظـيـفـةٍ مـحـتـرمـةٍ في وزارتـكم الطـيبـة الـرائـعـة، وسـلامـتـكـم!

إلى سلة المهملات طبـعـا........ المديـر يحـدث نفسـه: مـا عـنـدنـا بند ومـا عـنـدك وسـاطـة، ولا عـكـاز تـسـتـند عليـه.

خطاب ثالث:

إلى مدير عـام شـؤون الموظفين بالوزارة - الله يوفقه!

(شــوف يا أبو الـشـبــاب أنـا داخـل فـي المـوضــوع عـلى طـول، من دون لـف ولا دوارن يـعـنـي، أنـا شــاب عـمــري ٢٠ سـنـة عـنـدي شـهــادة خـامـسـة ابـتـدائـي، أبـوي يـصـرف عـلي ولله الـحـمـد، لـكـنـنـي أتـمـنـى أن أتـوظـف لأجـل الـكـشـتـات والـرحـلات إلـى الـشـمـال والجـنـوب، والـشـرق والـغــرب، وأنـا بـحـاجـةٍ مـاسـةٍ إلـى مـصــروفٍ زائـدٍ لـزوم الـتـرفـيـه واسـتـكـشـاف الحـيـاة، والـذي عـنـد الـوالـد مـا يـكـفـي لـلـكـشـتـات).

ودمتم.....!

إلى سلة المهملات بسرعة.

الخطاب رابع:

سعادة مدير عام شؤون الموظفين، اعلم أن مقادير الله تقدر على كل إنسان، توفي أبي وجدي وعمي وخالي وجاري في حادث سيارة، وخلفوا لنا أسرةً كبيرةً مكونة من أمي وأخواتي وإخواني وخالاتي وعيال خالاتي وجدتي وعيال جاري، لدينا بضعة عقباتٍ تتمثل في إيجار بيت وأسعار حفاظات (بامبرز) وحليب وكهرباء و(موية) وهاتف.......وإنترنت!

لذا أرغب في العمل تحت جناحكم المهيب في أي قسمٍ ترونه مناسباً، آمل منكم الوقوف معي، ومد يد العون والمساعدة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومَنْ نفّس عن مؤمنٍ كربةٍ من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، وإنني أقسم بالله العظيم إنني صادق فيما أقول، وإن كنت كاذباً فلتدهسني تريلا (شاحنة) أو سيارة!

المدير يضحك ويقول: (فاتحين محل طرارة "شحاذة يعني" وبعدين حفائظ بامبرز غالية يا نصاب، خلك على بيبي جوي)........ إلى سلة المهملات.

خطاب خامس:

سعادة مدير عام شؤون الموظفين، أحييك بتحية الإسلام تحية أهل الجنة فأقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعلم يرحمك الله أن....................

المدير يوقف قراءة الخطاب ويقول: الظاهر أن الرسالة مرسلة إلى وزارة الشؤون الإسلامية!

الرسالة السادسة:

يا سعادة المدير، نقول: السلام عليكم، (شف يابن الحلال الصراحة جاي أنا وناوي أتوظف بأي طريقةٍ كانت، حتى لو اقتضى الأمر أن....).

المدير يلقي بالرسالة في سلة المهملات.......... (شين وقوي عين).

الرسالة الأخيرة:

سعادة مدير عام شؤون لموظفين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، يقول الشاعر:

إن لم يكن إلا الأسنة مركب

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

أعلم يقينا أن الوسائل المشروعة لديكم في التوظيف لم تعد تجدي نفعاً خاصةً في هذه الأيام التي اختلط فيها الحابل بالنابل، وأن الصدق والموضوعية والخبرات والشهادات الجامعية العليا، والشرف والكرامة والضمير الحي، لا تلقى رواجاً لدى أصحاب الضمائر المتصلة والمنفصلة والنائمة والمستترة وجوباً وجوازاً خلف ستار التملق والارتزاق وخيانة الأمانة والوساطة إلخ....

لذا بكل صراحةٍ ووقاحةٍ قررت أن أمزق شهاداتي وأدوس عليها، وأغيّب ضميري في لجة الغفلة، وأدوس على كرامتي وبقايا أمانتي وأبتزك بكل قوةٍ، جميعنا يعلم أنك تمضي إجازتك الصيفية خارج حياض الوطن، تحديداً في ولاية آريجون الأمريكية، وقد حدث أن رأيتك صدفةً في يومٍ من الأيام، ورب صدفةٍ خير من ألف ميعاد، رأيتك في منظرٍ لا يسر صديقاً ولا عدواً حتى، وأنت على الحالة التالية (.....................) إلخ الفراغات.

لذا فإنني سوف أسلك معك الطريق المختصر لأقول لك: الوظيفة أو الفضيحة! اختر أيهما شئت!؟

اصفرّ وجه المدير وتلاحقت أنفاسه، نضح جبينه بالعرق، ومادت به الأرض به، قبل أن يتمالك أعصابه قليلاً، نادى سكرتيره الخاص قائلا: (طلع لي الملف الأزرق، واختار لي أحسن وظيفة عندك بسرعةٍ).

السكرتير: لكن الكشف الأزرق محجوز بالكامل لخطابات التوصية من قبل المسؤول الأول!

المدير: أنا المسؤول الأول الآن، أحضر لي الكشف الأزرق فوراً، واطبع لي خطاب التعيين هذا فوراً باسم الأستاذ: فواز المدير الجديد للقسم الفني التاسع.

ملحوظة: مرّ قولٌ مكذوب على النبي ﷺ يقول: "**يكون في آخر الزمان أناس ذئاب، فكن كلباً وإلا أكلتك الذئاب!!**".

انتحار

الآنسة أمل ومعالي الوزير

حمار

المراقب: تفضل يا أستاذ، هذا إيصال الغرامة بقيمة ثلاثة آلافٍ وسبعمائة ريالٍ.

المواطن: يا أخي الكريم لا يصير! خمسة أعوامٍ كاملةٍ، وأنا أتلقى هذه الإيصالات بشكلٍ منتظمٍ من الإدارة العامة (لشؤون الموارد والبيئة) وأقوم بعملية السداد المنتظم لهذه الغرامات دون أن تلوح في الأفق بارقة أملٍ واحدةٍ بانفراج هذه الأزمة، من تحذيرٍ إلى غرامةٍ، ومن غرامةٍ إلى هذا التهديد الأخير بالإقفال وشطب الرخصة، الذي يظهر لي من معاملتكم الجائرة أنكم عقدتم العزم أخيراً على تدمير نشاطي التجاري، وإخراجي من جادة العمل والسعي في الأرض وممارسة التجارة، إلى ممارسة نشاطٍ تجاريٍّ من نوعٍ آخر، التسول على قارعة الطريق وعند أبواب المساجد.

المراقب: أنا عبد مأمور يا أخي، وما على الرسول إلا البلاغ، مخبزك يا أستاذ يشكل خطراً على الصحة العامة، ويسهم في نشر الأمراض الصدرية وزيادة حساسية الأنف، إضافةً إلى أنه يسهم في تقويض أركان النظام العالمي الجديد! أقصد أن مظهره العام لا يتوافق مع الوجه الحضاري للمدنية الحديثة.

المواطن: عزيزي مخبزي الموسوم (بمخبز الوطن العربي) يقع كما ترى على أرضٍ فضاء، وأقرب مسكنٍ إليه على بُعد ثلاثة كيلومتراتٍ، فقل لي بربك: كيف يسهم هذا المخبز اليتيم في عملية

التلوث البيئي؟ أم المسألة عندكم خراب ديار وتجويع الشعب يا أعداء الشعب؟

المراقب: هذه شتيمة سياسية قد تطالك بسببها يد القانون الطويلة، نحن نتحدث عن الخبز والتلوث البيئي، وأنت تصر على الخوض في السياسة؟ لا أجد بداً من قطع هذا الحديث فوراً حتى لا تجز رقبتي من قبل النظام.

المواطن: السياسة من الخبز، والخبز من السياسة، ولا أناسٍ أن الشعب الفرنسي قام بعملية انقلابٍ وثورةٍ ضد الإمبراطورة الفرنسية ماري آنطوانيت بسبب الخبز؟ حتى إن ابنتها قالت لأمها الإمبراطورة: لماذا ثار الشعب؟ فأجابت الأم: بسبب الخبز، ردت الابنة: إذا لم يجدوا الخبز فليأكلوا الكيك، ويا عيني على الفهم.

المراقب: والله حالة، تفضل، وقّع على استلام الإيصال، وإذا كان لديك أي اعتراضٍ عليه، فقم بمراجعة الإدارة العامة لشؤون الموارد والبيئة، نصيحتي لك، سدّد المخالفة، وقم بالإصلاحات المطلوبة منك وتحلَّ بالصبر والأمل.

صفق المواطن باب سيارته بعد أن أوقفها بعيداً عن الإدارة العامة، كان غارقاً في أحزانه وآلامه، لم ينتبه إلى باب السيارة الذي لم يحكم إغلاقه، كان جلّ اهتمامه وغضبه منصباً على شتم الموظف الذي زاره بالأمس، وكان ذلك المراقب يشبه الثعبان بصلعته

المشوهة، اعتلجت في صدر صاحبنا الخواطر وهو يحدث نفسه: هذا موظف فاسد حقير، لو أغلقت فاه برشوةٍ وَضيعةٍ عند زيارته الأولى لما اضطررت إلى قطع هذه المسافة كلها، قبح الله صلعته، آهٍ.... آهٍ ثم آهٍ، لو كنت صاحب منصبٍ في هذه الدولة لقفزت إلى تلك الصلعة الحقيرة أشبعها ضرباً بالحذاء، لو أن لي به قوة لسكبت عليها مادةً كيماوية حارقة، ولأشعلتها بعود ثقابٍ حتى تحترق تماماً، وهكذا أجمع بين المصيبتين، سيخلدني التاريخ ويلقبني بعلي الكيماوي ونيرون المجنون الذي أحرق روما، ههههههه، قهقهة في السر، رسمت على محياه ابتسامة عريضة بعد أن أفرغ هذه الشحنة النفسية على خيال المراقب، قطعت خواطره بسؤالٍ من قبل مندوب الاستعلامات إلى أين يا أستاذ؟؟

المواطن: لدي إيصال غرامةٍ وإنذار نهائيّ بإغلاق مخبزي الذي أقتات منه.

موظف الاستعلامات: الدور السادس، ثالث مكتب على اليمين، بالمناسبة مصعد الإدارة معطل، استعن بالله وارتقِ الدرج، ولا تفقد الأمل.

شرع الخباز في الصعود إلى أعلى وهو يحسب عدد الدرجات، (واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، ستة وثلاثون، خمسون)، وعليكم السلام ورحمة الله، رد التحية على أحد المراجعين، (وين وصلنا؟ اثنين

وستين؟ ولا ثلاثة وخمسون؟ ثلاثة وخمسون ولا مائة) لا أملك إلا أن أقول مرةً أخرى: قبح الله صلعتك أيها المراقب الحقير، آهٍ ثم آهٍ، كم أتمنى من الله أن يمكنني من تلك الصلعة الحقيرة، أفضل وسيلةٍ لتعذيب صلعته هي شكها بالدبابيس الحامية، أو طعنها برأس فرجار ابني محمد، قبحها الله من صلعةٍ خبيثةٍ لا مثيل لها في الخبث إلا صلعة موشي ديان أو مناحم بيجن، إدارة فاسدة، موظفون حقراء، تخلف لا مثيل له، (آخ بس آخ)، حتى المصعد معطل، مع أن مصعد الوزير غير معطل، آهٍ آه، أخيراً وصلنا إلى الدور السادس، توقف قليلاً لمعادلة عملية التنفس قبل أن يبدأ في عد المكاتب (واحد، اثنان، ثلاثة؟) الباب مغلق، (عساه موجود؟).

توقف حائراً، ثم حزم أمره وطرق الباب برفقٍ، لا مجيب، مرةً أخرى طرق الباب ولكن بشكلٍ تصاعديٍ إلى أعلى، الثالثة وقد استبدت به الحيرة الممتزجة بالغضب، لم يتلقَّ أية إجابةٍ، دفعه غضبه إلى فتح الباب، فوجئ بوجود الموظف الذي رمقه في تساؤلٍ.

المواطن: السلام عليكم.

الموظف: نعم؟

المواطن: بالأمس زارني مراقب من قبل الإدارة العامة لشؤون الموارد والبيئة، وقد زودني بإيصال غرامةٍ وإنذار نهائي بقفل

المخبز، وإذا أقفل المخبز فمن أين أقتات أنا والأولاد؟ (يعني تبونا نشحذ ولا نسرق؟).

الموظف: أنت صاحب مخبز الوطن العربي؟

المواطن: نعم.

الموظف: (ليش الفلسفة وطولة اللسان؟ الغرامة فيك فيك، لا بد من سدادها ولو بعد قرنٍ من الزمان، والإغلاق ممكن نتفاهم حوله)، أولاً: هذا أنموذج طلب إنشاء مخبزٍ جديدٍ، ثم وقع هذا الإقرار، وهذا التحويل إلى المستشفى للقيام بعملية فحصٍ شاملةٍ، وهذا خطاب خاص بالشركة المعتمدة لدينا لإنشاءات المخابز، والتي ستجري تعديلاتها على المخبز.

المواطن: هذا لا يعقل، هذا جنون، المخبز قائم منذ ستة أعوامٍ، أوراقي سليمة، ثم ما هذا الإقرار الخاص بالتجمعات؟

الموظف: من خلال تحرياتنا الخاصة، ثبت لدينا أن مخبزك لا يبيع الخبز فحسب، بل تحول إلى ما يشبه قاعة اجتماعاتٍ خاصةٍ، تتناول فيها أنت ومجموعة من المشترين الشأن السياسي وآخر المستجدات الدولية والإقليمية، أنت خباز ولست محللاً سياسياً، قم ببيع رغيف الخبز فقط، وكُفَّ عن بيع الكلام الفارغ، هذا بالنسبة للإقرار، أما بالنسبة لإنشاء المخبز الجديد، فقد قامت الإدارة العامة لشؤون الموارد والبيئة باعتماد تصاميم جديدةٍ

للمخابز الحديثة، وعلى ضوء هذه المستجدات الأخيرة، أنت مجبر على هذه التعديلات الحديثة.

المواطن: هذا ظلم، هذا كلام فارغ، لا أقبل هذه التعديلات على الإطلاق، أريد أن أقابل الوزير، أو المسؤول.

الموظف: لن تجديك مقابلته نفعاً، ولكن إن شئت فمكتبه هو السادس من الجهة الشرقية من المبنى، أنصحك بالشروع في عملية التغيير، ولا تقطع حبل الأمل.

كان باب معالي الوزير مشرعاً على غير العادة، وفي داخل المكتب كان السكرتير يقبع على كرسيه منهمكاً في النقر على جهاز الحاسوب، ألقى صاحبنا التحية على السكرتير، أجابه السكرتير دون أن يرفع بصره عن شاشة الحاسوب: (وش عندك يا بوي؟).

المواطن: أريد أن أقابل الوزير!

السكرتير: نعم يا أخي!؟

المواطن: أريد أن أقابل الوزير!

السكرتير: خير؟ (فيه موعد مسبق)، هل هناك سابق معرفةٍ، هل تمتّ بصلة قرابةٍ إلى معاليه؟

المواطن: يعني: المراجع ما يقابل الوزير إلا إذا كان هناك موعد سابق، أو معرفة خاصة، أو صلة قرابةٍ؟؟ هذا كلام لا يعقل، بيتي

على وشك أن يخرب، وأولادي سيتسوّلون وهذا يمنعني من مقابلة الوزير؟

السكرتير: (مقابلة ما فيه إلا بموعدٍ)، وأقرب موعدٍ بعد ستة أسابيع، الوزير كثير السفر والانتدابات، وهو غارق حتى أذنيه في........ فجأةً فتح باب مكتب الوزير وأطل منه رأس الوزير، قفز السكرتير من مقعده، خاطبه الوزير: (يا خالد وش معنى كلمة "أوبشينس").

خالد: معناها خيارات - طال عمرك.

الوزير: (أبلشني هذا الولد، جالس يلعب بلاي ستيشن ومو عارف يدخل على الأوبشينس، طيب هو سألني أيضاً وش يختار هارد ولاّ نورمال ولاّ إيزي؟).

خالد: (إيزي) طال عمرك، هو الأسهل.

الوزير: طيب، يا خالد شكراً لك، همّ معاليه بالدخول إلى مكتبه وإغلاق الباب، وعند هذه اللحظة قفز الخباز من مكانه ونادى الوزير قائلاً: يا معالي الوزير، يا معالي الوزير؟

الوزير: (وش فيه؟).

الخباز: سيدي الكريم هذا إنذار نهائي بإغلاق المخبز، وهذا إيصال غرامة، وأنا متوسط الحال وعلى باب الله، لا قدرة لي على الإغلاق ولا قدرة لي على الدفع، وقد فوجئت مؤخراً بأن الإدارة العامة بصدد إجراء تعديلاتٍ على جميع المخابز و........

الوزير مقاطعاً: (مكتب ثلاثة لو سمحت)، جهز أوراقك، وبشيءٍ من الصبر والأمل تنهي جميع مشكلاتك مع الإدارة، ثم أَغْلَقَ الباب.

بتثاقلٍ ويأسٍ جرّ الخباز خطاه في رحلة العودة البائسة عبر تلك السلالم القديمة المتهالكة، وتحت وطأة الحزن وشدة القهر لم يشعر بنفسه إلا عندما قادته خطاه نحو البوابة الرئيسة، استيقظ من غفوته على تجمعٍ غير مألوفٍ لمندوبي العلاقات العامة بالإدارة وموظفي التشريفات، كان ذلك التجمع أشبه ما يكون بخلية نحلٍ، لفت نظره أيضاً وجود بعض الحرس الخاص باللباس المدني، والمفاجأة الكبرى خروج معالي الوزير شخصياً من إحدى المصاعد حاملاً عباءته بيده اليمنى، تعالت الهمسات بين الموظفين وتردد اسم الآنسة أمل كثيراً بين تلك الجموع، وأمام الفضول البشري الذي يعتري كل مخلوقٍ على وجه البسيطة اندسّ هذا الخباز بين موظفي الإدارة، وفجأةً ظهر السكرتير الشخصي لمعالي الوزير من مصعدٍ آخر، يمم السكرتير خالد وجهه شطر معالي الوزير، وقال له بصوتٍ مسموع: معالي الوزير نجلكم الموقر وليد يسأل في التلفون: (وش يختار من ألوانٍ لفريق كرة القدم؟).

الوزير: قل لوليد: أغلق فمك قبل أن أحطم جهاز الألعاب الإليكترونية على رأسك، مستقبلي ومستقبلكم جميعاً على المحك، وهذا يسأل عن ألوان قمصان فريقه المفضل!؟

تعالت الهمهمات والصيحات عندما ظهرت مركبة سوداء فاخرة للغاية، كانت تلك المركبة تفصح بكل وضوحٍ عن حقيقة صاحبها، توقفت المركبة عند باب الإدارة العامة، وتقدم إليها مندوب التشريفات بالإدارة ليفتح الباب، وعندما فتح باب المركبة سطعت شمس بشرية بنورٍ خلابٍ على الحضور.

كانت الراكبة امرأة، غادة حسناء ذات جمالٍ قاتل، حوراء العينين، فاحمة الشعر، ثغر باسم يسفر عن ثنايا لؤلؤيةٍ تخطف الأبصار، بياض يزاحم أشعة الشمس ويجبرها على أن تواري نفسها خجلاً من هذا الحسن النادر، انتعلت الآنسة أمل -هذا اسمها- انتعلت حذاءً أزرق اللون، كانت تمشي على الأرض، أو قُلّ: إن الأرض خجلت من أن تلوث قدميها الجميلتين بذرات الغبار، فأمرت نسمات الهواء أن ترفعها عن الأرض، كانت تطير وهي تمشي، أو كانت تمشي وهي تطير، لم يملك الخباز نفسه وهو يراها إلا أن يهمس: يا إلهي الرحيم ما هذه الخلقة العجيبة؟ ثم تمثل ببيتين لشوقي:

صوني جمالك عنا إننا بشر

من التراب وهذا الحسن روحاني

أو فابتغي فلكاً تؤوينه ملكاً

لا تنصبي شركاً للعالم الفاني

تقدم إليها معالي الوزير خجلاً وخائفاً، ليستجمع شجاعته المضطرية مرحباً بها: لم نرَ الشمس من عامين يا آنسة أمل.

الآنسة أمل بصوتها المغرد: وزير الموارد، كنت بالجوار ثم قررت أن أتحدث معك عند البوابة بخصوص شهادة الآيزو العالمية للمصنع الذي قمت بإنشائه مؤخراً، أريد دعماً كاملاً لمصنعي من قبل إدارتكم العامة حتى أحصل على هذه الشهادة، ولا يخفاك أمر المصنع وزيادة أبخرته السامة من غاز ثاني أكسيد الكربون، هذه الأبخرة السامة قد تكون حجر عثرةٍ أمام حصولي على هذه الشهادة.

الوزير: آنسة أمل، لقد جشمت نفسك عناء هذه الزيارة، ومكالمة واحدة منك كانت ستنهي هذه القضية، لقد قمنا بعملية حصرٍ شاملةٍ لجميع المخابز في المنطقة القريبة من المصنع، ورفعنا تقريرنا الخاص إلى المنظمة الخاصة بشهادة الجودة العالمية، وذكرنا في التقرير أن سبب زيادة التلوث في المنطقة يعود إلى تلك المخابز القديمة! كوني مطمئنة يا سيدتي، سيحصل مصنعك على تلك الشهادة لا محالة.

الآنسة أمل: سأعتبر هذا الكلام وعداً قاطعاً؟

الوزير: اطمئني.

الآنســة أمل: حــسناً، يمكنك الانصــراف الآن أنت وهؤلاء الموظفون فوراً، وأشارت بيدها.

انفضّ الجمع كـأنْ لم يكن، وولت الآنسـة أمل وجـهـهـا نحـو مـركبتها السوداء الفاخرة، وهنا وجد الخباز نفسه مدفوعاً إليها بقوةٍ خفيةٍ طائشةٍ، آنسة أمل هكذا هتف بصوته المبحوح، التفتت إليه قائلةً: ماذا تريد؟ قص عليها خبره، وبث إليها شكواه، كان حزيناً مرتبكاً، وهو يخرج إليها إيصال الغرامة والإنذار النهائي بكفه المرتعشة، دست يدها في حقيبتها وأخرجت منها مبلغ ثلاثمائة ريالٍ ووضعتها في يده، ثم قالت له: تحلَّ بالأمل..

قاطعها: أنت أمل؟

صـحّـحت له: أنا ابنة مسؤولٍ في الدولة أُدعى أمل، ولست الأمل المنشود الذي ترجوه، إما مصنعي وإما مخبزك، ولا بد لأحدنا أن يزيح الآخر عن الطريق، وقد اخترت إزاحتك لصالح مصنعي، إنه صراع البقاء على هذه الأرض، ولا بقاء إلا للأقوى، ثم قفزت إلى مركبتها، وأوعزت إلى سائقها، فتحرك.

رمقها ببصره حزيناً حائراً ثائراً حتى توارت المركبة عن الأنظار، قطع حبل خواطره وحزنه على يدٍ غريبةٍ تربتُ على كتفه الأيمن، التفت إلى صاحب تلك اليد ليقع بصره على مندوب الإدارة الموظف الأقرع، لاذ بالصمت وأُلجم بفعل تلك الصلعة البراقة بفعل

أشعة الشمس، ثم قال للمندوب: هل ستطلب مني أنت أيضاً أن أتحلى بالأمل؟

أجابه المندوب الأصلع: لا، كنت سأقول لك: تحلَّ بالشجاعة.

الخباز: شكراً لك أيها الأصلع الطيب، وقبح الله صلعة الوزير الخبيثة، إن كان له صلعة.



اغتيال ناشرٍ ارتزاقيٍ بطلقتين في رأسه

العقل الفارغ

اللقاء الأول لمدرسة الحب الفاشلة

انتحار حمار

حليب الإرهاب

سطو مسلح على منزل ليبراليٍ مشهور

فلسفة متسول

مأزق سياسي في الصف الثالث الابتدائي

نفث في وجهي دخان سيجارته ثم شتمني

وظيفة تحت تهديد السلاح!

الآنسة أمل ومعالي الوزير



موقعنا على الإنترنت:
http:/www.obeikanbookshop.com

ORD:000119